

البحث الثالث

القصص القرآني وأثره في الدعوة إلى الله

تأليف

أ.د / أحمد ربيع أحمد يوسف

الأستاذ المتفرغ بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

القصص القرآني وأثره في الدعوة إلى الله

أحمد ربيع أحمد يوسف

قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: AhmedYousf133@azhar.edu.eg

الملخص:

القصة شيء محبوب لنفس الإنسان يخترعها ثم يجلس مستمعا إليها مستمتعا بأحداثها يستوي في ذلك البشر جميعا الكبير والصغير، والعالم والجاهل الكل ينجذ إلى القصة، وكان ذلك من قديم، ولما كان للقصة هذا الأثر البالغ في التأثير جاءت القصة في القرآن أسلوبا من أساليب الدعوة إلى الله، والقصص القرآني لم يرد لمجرد سرد أحداث وقعت، وإنما جاء للعبرة والعظة؛ ولذا يختلف القصص القرآني عن الحكاية، ويهدف البحث إلى تعريف القصة وأنواعها، وذكر -من خلالها- بيان حقيقة الدين وتوضيح أسسه وأهدافه، ثم إبراز مميزات القصص القرآني، فهو قصص حقيقي وقعت أحداثه في زمن معين ولشخصيات معينة سواء ذكرت بأسمائها أو بأوصافها، ولا يعتمد على الخيال لينسج منه قصة، والقصص القرآني يجمع بين نماذج الأخيار والأشرار وهذا هو الواقع في حياة البشر، فالصراع بين الخير والشر قديم بقدم الإنسان على وجه الأرض، وذكر البحث عناصر القصة القرآنية، وكذلك تناول المناهج الدعوية من خلال القصص القرآني، وذكر أساليب الدعوة فيه، ثم توضيح أثرها في أركان الدعوة، كما يهدف البحث لبيان جماليات القصص القرآني، فقد وصف رب العالمين هذا القصص بأنه أحسن القصص، وقد اشتمل القرآن الكريم على قصص الأخيار وقصص الأشرار، وهذا القصص معينه لا ينضب، يستخرج منه في كل عصر ما يفتح الله به على من يتدبره. ومن التدبر في القصص القرآني وجود أوجه جمال في المقارنات بين ما اشتمل عليه القرآن من قصص، واستخدمت في هذا البحث المنهج

الاستقرائي، والمنهج التحليلي، وتوصلت إلى نتائج عدة منها: أن القرآن الكريم معينه لا ينضب، وأيضا أن الله سبحانه وصف القصص القرآني بأنه أحسن القصص، فمهما اخترع الناس من قصص فإنه لا يقارن به، كما أثبت أن النزاع بين الخير والشر موجود منذ وجد الإنسان على الأرض ومستمر ما بقي الإنسان عليها، وكذلك أن واقعية القصص القرآني في معالجته لنوازع الإنسان وغرائزه، وأخيرا من نتائج البحث أن القصص القرآني لا يستطرد في ذكر أحداث لا تعود على القصة بنفع.

الكلمات المفتاحية: القصة، القرآن الكريم، أثر، الدعوة إلى الله.

Quranic stories

And its impact on the call to God

Ahmed Rabie Ahmed Youssef

Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Da'wah in
Cairo, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: AhmedYousf١٣٣@azhar.edu.eg

Abstract:

A story is something that a person loves. He invents it and then sits and listens to it, enjoying its events. All human beings, old and young, and the learned and the ignorant. Everyone is drawn to the story, and that was from ancient times. And since the story had this great influence on the story, the story came in the Qur'an as one of the methods of calling to God. The Qur'anic stories were not intended merely to narrate events that occurred, but rather were intended as a lesson and a sermon. Therefore, Quranic stories differ from the story, and the research aims to define the story and its types, and - through it - explain the truth of the religion and clarify its foundations and goals, then highlight the features of the Quranic stories, as they are real stories whose events took place in a specific time and for specific characters, whether mentioned by their names or descriptions, and it is not relied upon. On the imagination to weave a story from it, and the Qur'anic stories combine models of good people and bad people, and this is the reality in human life, The struggle between good and evil is as old as man on the face of the earth, and the research mentioned the elements of the Qur'anic story, as well as dealing with preaching approaches through Quranic stories, and mentioned the methods of preaching in it, then clarifying their impact on the pillars of preaching. The research also aims to explain the aesthetics of Quranic stories, as the Lord described

Knowing that these stories are the best of stories, the Holy Qur'an includes stories of good people and stories of evil people, and these stories are an inexhaustible resource, extracting from them in every era what God opens up to those who ponder them, One of the reflections on Qur'anic stories is the presence of beauties in the comparisons between the stories contained in the Qur'an. In this research, I used the inductive approach and the analytical approach, and I reached several results, including: that the Holy Qur'an is an inexhaustible source, and also that God Almighty described the Qur'anic stories as the best. Stories: No matter how many stories people invent, it cannot be compared to it. It also demonstrated that the conflict between good and evil has existed since man existed on earth and will continue as long as man remains on it. Likewise, the realism of Qur'anic stories in its treatment of man's inclinations and instincts. Finally, from the results of the research, Qur'anic stories do not He continues to mention events that do not benefit the story.

Keywords: Story, Holy Quran, Impact, Dawwa to God.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فالقصة شيء محبب لنفس الإنسان يخترعها ثم يجلس مستمعا إليها مستمتعا بأحداثها يستوي في ذلك البشر جميعا الكبير والصغير، والعالم والجاهل الكل ينجذ إلى القصة، وكان ذلك من قديم، وأهل مكة كانت تستهويهم القصة يقول الزمخشري: إن النضر بن الحارث، وكان يتجر إلى فارس، فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وشمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة، فيستمعون حديثه^(١).

ولما كان للقصة هذا الأثر البالغ في التأثير جاءت القصة في القرآن أسلوبا من أساليب الدعوة إلى الله يهدف من خلالها إلى بيان حقيقة الدين وتوضيح أسسه وأهدافه.

وقد قسمت البحث إلى سبعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القصة وأنواعها
 - المطلب الثاني: مميزات القصص القرآني
 - المطلب الثالث: عناصر القصة القرآنية
 - المطلب الرابع: القصة والمناهج الدعوية
 - المطلب الخامس: أساليب الدعوة في القصص القرآني
 - المطلب السادس: أثر القصة في أركان الدعوة
 - المطلب السابع: جماليات القصص القرآني
- وأسأل الله أن ينفع به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم

(١) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٤٩٠ دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

المطلب الأول تعريف القصة وأنواعها

يعرف الدكتور أحمد غلوش، القصة القرآنية بقوله: (إنها كلام حسن في لفظه ومعناه مشتمل على أحداث حقيقية سابقة ومتضمن على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الخير)^(١).

وتتنوع القصة ما بين قصة قصيرة وطويلة يطلق عليها مسمى الرواية وما ظهر أخيرا عند الكتاب فيما يسمى بالمجموعة القصصية.

أما القصة القصيرة فهي عبارة عن سرد لحدث أو شخصية في مساحة قليلة من الكلام والناظر في القرآن يجد هذا النوع من القصص في كثير من سور القرآن الكريم. أحداث حول مكان أو شخصيات في صفحة أو صفحتين من صفحات المصحف الشريف ومثاله قصة قارون في سورة القصص، وصاحب الجنتين في سورة الكهف، وأصحاب الجنة في سورة القلم وغيرها.

وأما القصة الطويلة التي يطلق عليها مسمى الرواية فهي تحتوي الحديث عن شخصيات وأماكن تدور أحداثها حول شخص واحد تكون لها بداية ونهاية وأكبر مثال لهذا النوع في القرآن الكريم قصة نبي الله يوسف عليه السلام.

وأما المجموعة القصصية فهي عبارة عن قصص قصيرة لا يجمعها هدف واحد ولكن يُضم بعضها إلى بعض داخل غلاف واحد له عنوان واحد. ويدعي البعض أن هذا النوع لم يوجد من قبل، وإنما هو من اختراع أدباء العصر الحاضر، ولكن الناظر في قصص القرآن الكريم يجد أن القرآن الكريم سبقهم إلى هذا النوع من القصص، متميزا في ذلك باتحاد الموضوع في المجموعة القصصية ومثال ذلك: في سورة البقرة قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وبعدها قصة العزيز وبعدها قصة نبي الله

(١) أحمد أحمد غلوش. الدعوة الإسلامية: أصولها - وسائلها - أساليبها في القرآن الكريم ص ٦٥٦ مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ٢٠١١م.

إبراهيم عليه السلام وطلبه من ربه رؤية إحياء الموتى سورة البقرة الآيات (٢٥٨: ٢٦٠) فهذه ثلاث آيات حوت ثلاث قصص جميعها تعالج قضية واحدة هي قضية العقيدة.

والقصص القرآني لم يرد لمجرد سرد أحداث وقعت وإنما جاء للعبارة والعظة ولذا يختلف القصص القرآني عن الحكاية (ولا يصح أن يطلق لفظ الحكاية على القصة القرآنية لأن الحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى بغض النظر عن العبر التي فيها، أو الاستفادة منها، كما أن الحاكي لا يستهدف التأثير والتوجيه من حكايته، أما القصة فهي تكشف عن آثار الماضي وتنقب عن حوادثه وتعرضها في أسلوب معجز مشتمل على العبرة والعظة أخذاً بالعقل والوجدان إلى زمن القصة وأدوارها وأشخاصها مهما كانت كثيرة وبعيدة)^(١).

ويقول الشيخ الغزالي - رحمه الله - :

(كان القصص الحسن من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته، ومزج تعاليمه بالقلوب، ولم يكن هذا القصص الواعي المحكم سرداً مجرداً لبعض الروايات القديمة يتسلى بها السامعون ثم يغفلون عند حكايتها أو يتعظون، لا، إن هذا القصص كان سيرة لتاريخ الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة؟ وما العقبات التي اعترضتها؟ وهل وقفت عندها أو تغلبت عليها؟ وما صنع الأنبياء بإزائها؟ وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أو صدت عنها؟ وبما انتهى الصراع بين الغي والرشد؟ والحكمة المنشودة من وراء هذا القصص المترسل المكرر، نقرأها في قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فالقرآن كتاب الدعوة وتاريخها، وفي تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحاً، ويستبين منهجها الذي تحدد البشر إليه، والذي لا يختلف وإن اختلفت العصور وكثرت الدهور)^(٣).

(١) د/ غلوش، الدعوة الإسلامية ص ٦٥٧ (مرجع سابق)

(٢) يوسف: ١١١.

(٣) الغزالي: الشيخ محمد الغزالي نظرات في القرآن ص ٩٥ دار نهضة مصر الطبعة السادسة ٢٠٠٥م

المطلب الثاني مميزات القصص القرآني

يتميز القصص القصص القرآني بمميزات متعددة منها:

١ - أنه قصص حقيقي:

وقعت أحداثه في زمن معين ولشخصيات معينة سواء ذكرت بأسمائها أو بأوصافها، ولا يعتمد على الخيال لينسج منه قصة، وإذا كان قصص البشر قديمة وحديثة يعتمد على الخيال لإثارة الانتباه، فإن القرآن الكريم بأسلوبه البليغ الذي يأخذ بالألباب، وبما فيه من تصوير للأحداث فإنه ليس بحاجة إلى الخيال وهذا ما أكدته القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ تَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ إِنْهُمْ فِيهِ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (١٣).

يقول الدكتور/صلاح الخالدي: (قصص القرآن هو القصص الحق، والحق هنا معناه الصدق والصحة والصواب، من حيث المعنى والمضمون والمحتوى، فكل ما ورد في القرآن من القصص فهو حق سواء كان موضوعه دعوة أو تشريعا أو توجيها) (٢).

٢ - يجمع بين نماذج الأخيار والأشرار:

وهذا هو الواقع في حياة البشر، فالصراع بين الخير والشر قديم بقدم الإنسان على وجه الأرض، وسيستمر إلى نهاية الدنيا فالحقد والحسد أمران ظاهران في حياة البشر، وقد مثل له القرآن بقصة ولدي آدم وقتل أحدهما للآخر، والتكبر بالمال وقوة البنين المادي أمر يتكرر في حياة البشر وقد مثل القرآن لهذا بقصة صاحب الحنتين في سورة الكهف حيث دفعه الغرور بماله وولده أن يتكبر على صاحبه، وينكر الجزاء والحساب يوم القيامة بل دفعه هذا الغرور لأن يظن أنه سيكون كذلك في الآخرة إن

(١) الكهف: ١٣.

(٢) الخالدي: د. صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ج ١ ص ٣٠ دار القلم، دمشق ١٩٩٨م.

كان هناك حساب، ثم وضحت القصة مآله الحزين كمال كل متكبر عندما تسلب منه أدوات التكبر ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفْتَهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّيَ أَحَلَّا ٤٢﴾^(١)، ووضح القصص القرآني عاقبة المتكبرين بالمال في قصة قارون ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ٨١﴾^(٢).

والبخل بمنع حق الله في المال ومحاولة الاستئثار به دون المحاويع آفة عند بعض البشر فجاء القصص القرآني ليعالج هذه الآفة في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، وبيان النتيجة المترتبة على منع حق الله والندم على سلب النعمة وقد صورت القصة أحوالهم وما يختلج في صدورهم أبلغ تصوير ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لَبَصَرِمْهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ٢١ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٢ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ٢٣ أَن لَّا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤ وَغَدُوا عَلَى حَرٍّ قَدِيرٍ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصَالُونَ ٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ٢٨ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمَذُونَ ٣٠ قَالُوا يُونُسَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٣١ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ٣٢﴾^(٣).

وفي الصراع بين الأنبياء والمكذابين برسالاتهم صور القرآن هذا الصراع ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَرْسَلِهِمْ لِنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهَا لِكُنَّ ظَالِمِينَ ١٣ وَلَنُصَبِّحَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾^(٤).

(١) الكهف: ٤٢

(٢) القصص: ٨١

(٣) القلم: ١٧ - ٣٢

(٤) إبراهيم: ١٣، ١٤

٣- الواقعية:

قصص القرآن يتميز بواقعيته التي تتوافق مع طبيعة الإنسان وتوازن حياته، وما تتطلبه فطرة الإنسان من نعم الحياة فهؤلاء الأنبياء مع صفاء فطرتهم يتمنون أن يكون لهم الولد ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ٦ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾^(١)، ونبي الله إبراهيم يفرح ويشعر بنعمة الله عليه في رزقه بالولد بعد أن كاد يفقد الأمل هو وزوجه لكبر سنهما فيلهج لسانه بالحمد والشكر لله فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ٣٩﴾^(٢).

وإذا كان القصص المعاصر يعتمد على الجنس وإثارة الغرائز بالملابس والاحياءات الجنسية وأحيانا بأفعال تخدش الحياء العام لدى الناس بحجة جذب المشاهد للقصة، فإن القصة القرآنية لم تسلك هذا الأمر، وحينما عرضت للحظة الضعف الغريزي في حياة الإنسان عرضته في مساحته الحقيقية، فالغريزة بين الزوجين لا تستغرق مساحة أكثر من ١% أو ٢% من حياة الإنسان الطبيعية، وهذا ما ورد في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، فالقصة تقارب المائة آية لم يرد الحديث فيها عن الغريزة إلا في آيتين فقط رقمي ٢٣، ٢٤، وعرضتها بأسلوب مهذب لا يخدش الحياء.

٤- الإخبار عن حوادث لا يعلمها النبي ﷺ ولا قومه من قبل أن ينزل القرآن:

يقول تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩﴾^(٣).

(١) مريم: ٢ - ٦

(٢) إبراهيم: ٣٩

(٣) هود: ٤٩

ويقول سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾^(١).

يروى المفسرون أن مريم (لما ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس، فتشاحوا وتخاصموا أيهم يكفل مريم، واقتربوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في النهر، فأيهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها، فوقع ذلك لزكريا نبيهم وأفضلهم، فلما أُخْبِرَتْهُمْ يا محمد بهذه الأخبار التي لا علم لك ولا لقومك بها دل على أنك صادق وأنتك رسول الله حقا، فوجب عليهم الانقياد لك وامتنال أوامرك)^(٢).

وآيات أخرى كثيرة توضح أن حوادث القصص القرآني لم تكن معلومة ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٦﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَأْتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾﴾^(٣).

يقول صاحب الكشف: (الْغَرْبِيُّ المكان الواقع في شق الغرب، وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الألواح. والأمر المقضي إلى موسى عليه السلام: الوحي الذي أوحى إليه، والخطاب لرسول الله ﷺ يقول: وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام، ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه، أو على الوحي إليه، وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات، حتى تقف من جهة المشاهدة على

(١) آل عمران: ٤٤

(٢) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تفسير السعدي = تيسير الكريم

الرحمن ص: ١٣٠ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

(٣) القصص: ٤٤ - ٤٦.

ما جرى من أمر موسى عليه السلام في ميقاته. وكتبة التوراة له في الألواح، وغير ذلك) ^(١).

٥- الإعجاز في تصوير الأحداث

القرآن الكريم أعجز بلغاء العرب أن يأتوا بمثل سورة منه، وقد تحدث علماء العربية عن أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وفي قصص القرآن دلائل كثيرة على هذا، ومنه ذلك التصوير العجيب لهلاك قوم نوح بالطوفان ﴿فَفَنَحْنَاهُ تَابُوتَ السَّمَاءِ بِمَاؤُ مُنْهَمِرٍ ۝١١ وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ۝١٢﴾ ^(٢)، تصوير للماء النازل من السماء على أنه أبواب فتحت، وتصوير الماء الخارج من الأرض بأن الأرض أصبحت كلها عيوناً، ليلتقي ماء السماء وماء الأرض وكأنهما جيشان متحدان ضد جيش آخر، وكما كانت البداية بهذا التصوير البليغ كانت نهاية القصة بتصوير أكثر بلاغة ﴿وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبْلِئِ مَاءَكَ وَنَسْمَأْ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝١٤﴾ ^(٣).

يقول صاحب الكشاف: (نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله تعالى: ﴿يَتَّارُضْ﴾ ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله: ﴿أَبْلِئِ مَاءَكَ﴾ و﴿أَقْلِي﴾ من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنهم عقلاء مميزون قد عرفوا عظمتهم وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته) ^(٤).

(١) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤١٧) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ.

(٢) القمر: ١١، ١٢

(٣) هود: ٤٤

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٩٧)

كما يبدو الإعجاز في تصوير الأحداث وعدم الاستغراق في المشاهد الجانبية التي لا يهم ذكرها في القصة.

٦ - ابتكار أسلوب الحوار

لم يكن الحوار مشهوراً عند العرب، فقد كانت آدابهم من شعر ونثر لا تعرفه، ولكن القرآن الكريم أتى به وهو غير معهود لديهم، فكان هذا وجهاً من أوجه الإعجاز، وهذا الأسلوب عرضه القرآن في كثير من قضاياها، وجاء به في القصة بتصوير بليغ يأخذ بالالباب، وأمثله كثيرة أذكر منها حوار نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون الذي سجلته سورة الشعراء ﴿ قَالَ أَمْ تُنَبِّئُكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلِئَمَّتَ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنَّينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝١٧ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۝١٨ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝١٩ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝٢٠ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢١ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝٢٢ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ۝٢٣ رَجُكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ۝٢٤ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَّا يُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْنُونٍ ۝٢٥ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٦ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُودِينَ ۝٢٧ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ۝٢٨ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٢٩ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۝٣٠ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ۝٣١ ۝٣٢﴾ (١).

في هذا الحوار يبدأ فرعون بالمن على موسى بتربيته في مرحلة طفولته وصباه، وذكره بجريمته في قتل المصري، ودافع موسى عن نفسه في قضية القتل فقال فعلتها وأنا من الضالين الذين لم يعرفوا حقيقة ما تسفر عنه هذه الوكزة، ورد على منه بتربيته بأنه كان السبب في إذلال بني إسرائيل واتخاذهم عبيداً، واستمر الحوار إلى أن حاول فرعون إنهاءه بالوعيد بالسجن، وهنا نقل موسى الحوار إلى إثبات نبوته بالمعجزات التي منحها الله إياها اليد والعصا. وأمثلة كثيرة متعددة للحوار في القصص القرآني مثل حوار صاحب الجنين مع

(١) الشعراء: ١٨ - ٣٣

صاحبه، وحوار قارون مع قومه وحوار ولدي آدم.

المطلب الثالث عناصر القصة القرآنية

القصة الناجحة تعتمد على أربعة عناصر الزمان والمكان والأشخاص والحوار

أولاً: الزمان

وأقصد به زمن وقوع الحدث الذي تعرض له القصة سواء كان بالمعرفة المباشرة من خلال آلات الوقت كالساعة والتقويم، أو بطريقة غير مباشرة كالملابس التي تدل على زمن معين مع ملاحظة أن القصة تذكر الزمن إذا كان لوجوده فائدة تعود على القصة، فالقصص القرآني وضح التسلسل الزمني للأنبياء عليهم السلام، فنبي الله هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾^(١)، ونبي الله صالح عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾^(٢)، ونبي الله شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾^(٣)، فدلّت هذه الآيات على التتابع الزمني لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام. مع العلم أن القصة في القرآن الكريم (لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها، وإنما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب بها، وبيان النقم بعللها لتنتقي من جهتها، ومتى كان هذا هو الغرض من السياق، فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير وأدعى إلى التأثير)^(٤).

(١) الأعراف: ٦٩.

(٢) الأعراف: ٧٤.

(٣) هود: ٨٩.

(٤) رشيد رضا: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني

وجاء ذكر الزمن في قصة نبي الله نوح عليه السلام ليبرهن على أنه بذل جهده طيلة أيامه في دعوة قومه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ (١) ﴾، وزمن الدعوة استغرق سنين كثيرة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ۖ (٢) ﴾، وجاء ذكر الألف أولاً ثم استثنى منها خمسين ليكون أول ما يقرع الأذان هو العدد الضخم ليدلل على أن المدة طويلة.

كما جاء ذكر الزمن الذي قضاه فتية أهل الكهف ليدلل على طول المدة ﴿ وَكَيْفُؤُا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ۖ (٣) ﴾.

وفي التعبير ملمح جميل يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إن هذه السنين كانت بالسنين التي هي أصل العدد في الإسلام وقد قدروها بثلاثمائة سنة شمسية - بين بسيطة وكبيرة - ولنا أن نقول: إنه سبحانه ذكر الثلاثمائة، ثم زاد التسعة للفرقة بين الشمسية والقمرية، وإنك لو أحصيت على أساس أنه كل ثلاث وثلاثين سنة وثلاث تقريبا يزداد العدد سنة قمرية، فإن الفرق يكون تسع سنين، انظر إلى إشارات القرآن البيانية التي تدل على الإعجاز خصوصا في أمة أمية لا تعرف الكتابة والحساب، وإن أمر الله يؤكد هذا العدد، وأنه لا يزيد ولا ينقص) (٤).

ويأتي ذكر الزمن في مجيء أخوة يوسف إلى أبيهم بعد أن ظنوا أنهم تخلصوا من يوسف ﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ۖ (٥) ﴾ قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ

الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ج ١ ص ٢٧١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م

(١) نوح: ٥.

(٢) العنكبوت: ١٤.

(٣) الكهف: ٢٥.

(٤) أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) زهرة التفسير (٩/

٤٥١٨، ٤٥١٩) دار النشر: دار الفكر العربي

مَتَّبِعِينَ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (١).

(هنا تتجلى لنا قدرة أداء القرآن أداءً دقيقاً معبراً عن الانفعالات التي توجد في النفس الإنسانية، فها هم إخوة خدعوا أباهم ومكروا بأخيهم، وأخذوه وألقوه في الجب مع أنهم يعلمون أن أباه يحبه، وكان ضنيناً أن يأتمنهم عليه، فكيف يواجهون هذا الأب؟ هذا هو الانفعال النفسي الذي لا تستطيع فطرة أن تثبته؛ فقالوا: نؤخر اللقاء لأبينا إلى العشاء: والعشاء محل الظلمة، وهو ستر للانفعالات التي توجد على الوجوه من الاضطراب؛ ومن مناقضة كذب ألسنتهم؛ لأنهم لن يخبروا الأب بالواقع الذي حدث؛ بل بحديث مختلق. وقد تخدعهم حركاتهم، ويفضحهم تلجلجهم، وتكشف سيماهم الكاذبة أمام أبيهم؛ فقالوا: الليل أخفى للوجه من النهار، وأستر للفصائح؛ وحين ندخل على أبينا عشاء؛ فلن تكشفنا انفعالاتنا.

وبذلك اختاروا الطرف الزمني الذي يتوارون فيه من أحداثهم: والبكاء انفعال طبيعي غريزي فطري؛ ليس للإنسان فيه مجال اختيار؛ ومن يريد أن يفتعله فهو يتباكى، بأن يفرك عينيه، أو يأتي ببعض ريقه ويقربه من عينيه، ولا يستتر ذلك إلا أن يكون الضوء خافتاً؛ لذلك جاءوا أباهم عشاء يمثلون البكاء (٢).

وفي قصة موسى عليه السلام طلب فرعون تحديد زمن معين لتحدي موسى، ولم يذكر هذا الزمن إلا في سورة طه ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤُوسُ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ ۚ وَمَنْ لَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشَرَ النَّاسُ ذُجًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٣).

(١) يوسف: ١٦ - ١٨.

(٢) الشعراوي: محمد متولي الشعراوي تفسير الشعراوي ١١/٦٨٨١، ٦٨٨٢ الناشر: مطابع أخبار اليوم

(٣) طه: ٥٧ - ٦٠.

كان التحدي من قبل موسى عليه السلام حيث حدد يوم الزينة في فترة الضحى (وإنما أوعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله تعالى وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد في المجمع العام ليكثر المحدث بذلك الأمر العجيب في كل بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر)^(١). فالتحدي أمام هذا الجمع الغفير من البشر يضمن سرعة انتقال الخبر، وعدم طمسه عن الناس.

ويقول مولانا الشيخ الشعراوي رحمه الله: (لماذا اختار موسى هذه اليوم بالذات؟ لماذا لم يحدد أي يوم آخر؟ ذلك؛ لأن موسى عليه السلام كان على ثقة تامة بنصر الله له، ويريد أن تكون فضيحة فرعون على هذا الملأ، ووسط هذه الجمع، فمثل هذا التجمع فرصة لا يضيعها موسى؛ لأن النفس في هذا اليوم تكون مسرورة منبسطة، فهي أقرب في السرور لقبول الحق من أي وقت آخر، وقوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾^(٢) أي: ضاحين، ويوم الزينة يمكن أن يكون في الصباح الباكر، أو في آخر النهار، لكن موسى متمكن واثق من الفوز، يريد أن يتم هذا اللقاء في وضوح النهار، حتى يشهده الجميع)^(٣).

ونلمح الإشارة إلى الوقت في الحديث عن إنزال العذاب بقوم لوط في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾^(٤) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَايِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ^(٥)، وقوله: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ^ط إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾^(٦)، فالأمر بالسير ليلاً حيث الخفاء من القوم، ونزول العذاب بالمكذابين صباحاً وهم يستقبلون يومهم بحيوية

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (٢٢ / ٦٤)

(٢) طه: ٥٩.

(٣) تفسير الشعراوي (١٥ / ٩٣٠٤)

(٤) الحجر: ٦٥، ٦٦.

(٥) هود: ٨١.

ونشاط فيحقيق بهم العذاب. (وهذا يشير إلى فعالية الزمان وأن الله منزل العذاب في هذا الزمان في الصباح المبكر، وفي أول خيوط النهار، ومع الاشراق الوليدة الوئيدة، وذلك قبل أن يتحرك المجرمون من أماكنهم، وقبل أن ينتشروا ويتفرقوا في شئونهم وسالكهم، وحتى تأخذهم الصيحة جميعا، ولا تستثني منهم أحدا، ولعلها لا تقع بالليل حتى يشاهدوا عذاب الله ويبصرونه واقعا فيهم فيزداد وقعه عليهم، ويكون تعذيبا فوق تعذيب)^(١).

وقد يأتي الحديث عن الزمن بطريقة تفهم من السياق، فقد ذكر القرآن لقب حاكم مصر وسماه (فرعون) وتكرر هذا اللقب سبعا وستين مرة، ولكنه أطلق عليه في قصة يوسف عليه السلام مسمى الملك في ثلاثة مواضع ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾^(٢)، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤَنِّي بِهٖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ﴾^(٣)، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤَنِّي بِهٖ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾^(٤)، ولم يسمه بفرعون، وظل سر التعبير غير مفهوم إلى أن تم فك رموز الكتابة الهيروغليفية القديمة ليفيد أن مصر حينما كانت تحكم بحكم وطني من أحد أبنائها كان يلقب بفرعون، وحينما كانت تحكم بحكم أجنبي كان يلقب بالملك ودل هذا على أن الفترة التي قضاها نبي الله يوسف في مصر كانت في عهد الهكسوس، وهذا إعجاز تاريخي للقرآن الكريم. يقول مولانا الشيخ الشعراوي: (ولم يكتشف الفارق بين وظيفة «الفرعون» ووظيفة «الملك» في التاريخ المصري إلا بعد أن جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر وفك «شامبليون» رموز اللغة الهيروغليفية من خلال نقوش حجر «رشيده»، فعرفنا أن حكام مصر القديمة كانوا يسمون

(١) السيد عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن ص ٥٩، ٦٠ دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة

الأولى ١٩٧٢م

(٢) يوسف: ٤٣

(٣) يوسف: ٥٠

(٤) يوسف: ٥٤

«الفراعنة» إلا في فترة كانت فيها مصر تحت حكم «ملوك الرعاة» أو «الهكسوس» الذين أغاروا على مصر، وحكموها حكما ملكيا وقضوا على حكم الفراعنة، ثم عاد الفراعنة إلى حكم مصر بعد أن خلصوها من سيطرة «الهكسوس» .

وهكذا نجد أن إشارة القرآن في قصة يوسف عليه السلام كانت إلى الملك، ولم يأت فيها بذكر فرعون، وهذا دليل على أن القرآن قد سبق بعلمه أي اكتشاف، وكلما جاء اكتشاف جديد أو ابتكار حقيقي، نجده يؤيد كتاب الله^(١)، مع ملاحظة أن العهد القديم يطلق على حاكم مصر في عهد نبي الله يوسف عليه السلام لقب فرعون.

ثانيا: المكان

تعني القصة بذكر المكان إذا كان لذكره فائدة ومن هذا:

١- جاءت قصة نبي الله هود في سور الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء وفصلت والذاريات والقمر والحاقة والفجر إلا أنه لم يرد تحديد المكان إلا في سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، والأحقاف كما قال الماوردي في تفسيره (وهي جمع حقف، وهو ما استطل واعوج من الرمل العظيم، ولا يبلغ أن يكون جبلاً)^(٣)، وهي منطقة بين اليمن وعمان والسعودية فيما يعرف بالربع الخالي.

٢- وجاءت قصة نبي الله صالح في اثنتي عشرة سورة، ولم يذكر مكانهم إلا في سورة واحدة سميت بالمكان الذي كان فيه قومه، وهي سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ

(١) تفسير الشعراوي (١٠ / ٦١٨٦)

(٢) الأحقاف: ٢١

(٣) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى:

٤٤٥٠هـ) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٥ / ٢٨٢) تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار

الكتب العلمية - بيروت / لبنان

أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ (١)، وأصحاب الحجر هم قوم صالح - عليه السلام -، إذ كانوا ينزلون الحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - وهو المكان المحجور، أى الممنوع أن يسكنه أحد غيرهم لاختصاصهم به، ويجوز أن يكون لفظ الحجر، مأخوذ من الحجارة، لأن قوم صالح عليه السلام كانوا ينحتون بيوتهم من أحجار الجبال وصخورها، ويبنون بناء محكما جميلا، قال - تعالى - حكاية عما قاله نبيهم صالح لهم - وتنتحون من الجبال بيوتا فارهين ومساكنهم ما زالت آثارها باقية، وتعرف الآن بمدائن صالح، وهي في طريق القادم من المدينة المنورة إلى بلاد الشام أو العكس، وتقع ما بين خيبر وتبوك (٢).

٣- وذكر المكان في قصة نبي الله موسى عليه السلام حيث نشأ في مصر ثم خرج مطاردا منها وتوجه إلى مدين ثم عاد إلى مصر مرة أخرى بعد تكليفه بالرسالة، وحدث ما حدث معه من فرعون ثم انتقل إلى سيناء بعد نجاته وغرق فرعون، كما ذكرت أماكن أخرى في القصة عند الشجرة ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْأَسَدِ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ومجمع البحرين وقد اختلف المفسرون في مكان مجمع البحرين فقالوا عند التقاء البحر الأحمر بالمحيط الهندي، وقالوا عند التقاء البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلنطي، وكل بعيد لبعد المسافة من ناحية وعدم ذكر غياب موسى عن قومه فترة طويلة من ناحية أخرى، وأرجح ما ذكره مولانا الشيخ الشعراوي حيث قال: (المكان، وهو مجمع البحرين، حتى يلتقي البحرين فيصيران بحرا واحدا، وهذه الصورة لا توجد إلا في مسرح بني إسرائيل في سيناء. وهناك خليج العقبة وخليج السويس، ويلتقيان في بحر واحد عند رأس

(١) الحجر: ٨٠

(٢) طنطاوي: الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط (٨ / ٦) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى

(٣) القصص: ٣٠

محمد^(١)، وذلك لقربها من مسرح الأحداث التي في سيناء التي حكم الله فيها بالتيه على بني إسرائيل

٤- في قصة نبي الله يوسف نجد عناية بذكر المكان في بيت أبيه ثم في الجب وحيدا فريدا ثم في بيت العزيز حيث الرفاهية ثم في السجن ثم على كرسي الإمارة، والحديث عن ذكر الأمكنة المتعددة يفيد أن يوسف هو هو لم يتغير ولم تغير الأماكن من أخلاقه شيئا فكانت العفة والصدق والأمانة والبر والعفو والاخلاص والإنابة إلى الله سجية فيه. فلم تتغير أخلاقه بتغير المكان

ثالثا: الأشخاص

أشخاص القصة التي تدور حولهم الأحداث (ويلاحظ أن القرآن الكريم يذكر من الأسماء ما تدعو إليه حاجة القصة حتى تترك أثرها في نفس القارئ أو السامع، ولا يسرف في ذلك البيان حتى لا تقترب روعته، ولكنه يمثل للقارئ أو السامع صورة حية تهز المشاعر في دائرة الشخصيات التي تدور حولها أحداث القصة ويتطلب ذلك في القصص القرآني بالذات أن تكون الأشخاص كائنة في الوجود، ومعروفة مستيقنة لكل من القارئ والسامع)^(٣).

ومن الملاحظ في العصر الحاضر أن البطولات التي تبنى عليها القصة شخصيات جاذبة ليس عن طريقة تفكيرهم وإنما في الكشف عن أجسادهم.

ولكن القصة في القرآن قد تكون البطولة فيها لحشرة صغيرة كالنملة، أو لطائر صغير كالغراب الذي علم البشرية طريقة دفن الموتى، والهدد الذي كان أعظم جهاز استخبارات عرفه العالم لأنه بين موقف قوم سبأ التعبدية، وموقفهم في الحكم.

(١) رأس محمد: منطقة التقاء خليج السويس من الغرب، وخليج العقبة من الشرق

(٢) الشعراوي التفسير ٨٣٥٩/١٤

(٣) السيد عبد الحافظ عبد ربه: بحث في قصص القرآن ص ٦٥ دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٢م

وحيثما تكون القصة حول شخصية نسائية فإنها لا تركز على خريطة جسدها أو جمال وجهها، لإثارة الشهوات والغرائز، يقول د التهامي نقرة: (وجود المرأة في بعض القصص القرآني لم يقصد به الاستثارة أو الترفيه أو إشباع بعض الميول، كما نجد ذلك في القصص الانساني العاطفي، وإنما لأن حدثاً استدعى وجودها بصورة تلقائية، فتؤدي دورها في القصة كامرأة لها عواطفها ومشاعرها الخاصة أو كإنسانة لها شخصيتها المتميزة، وذاتيتها المستقلة، فلا يضيف القرآن على وجودها ألواناً زاهية جذابة ولا يسلط عليها أضواء أكثر مما تقتضيه طبيعة المشهد)^(١)، كما يلاحظ أنه (يغيب عن صورة المرأة في القصص القرآني الجانب الجسدي إذ أن القرآن الكريم لا يحفل بهذا الجانب ولا يعطيه كبير أهمية، وكأن رسالة الإنسان في الكون لا تتوقف على وجوده الجسدي، بل على وجوده النفسي وما يكرسه من صفات ترتقي بالإنسان سواء كان ذكراً أو أنثى. إن عدم تحديد صورة المرأة بصفات الجسدية يتماشى والتوجه العام للإسلام وكتابه القرآن، فقد أبعد المرأة عن الحسية وفي ذلك إعلاء لمكانتها؛ حيث جعل قيمتها لا ترتبط بالجسد وإنما تمتد إلى جوانب أخرى تكون كفيلاً بصنع نماذج بشرية فاعلة في المجتمع كملكة سبأ وامرأة فرعون)^(٢).

والقصة القرآنية تركز في شخصية المرأة على قوة يقينها وإخلاصها كامرأة عمران، وتركز على قوة إيمانها ويقينها كامرأة فرعون، وتركز على عففتها وطهارتها كمریم، وتركز على حيائها كبنت صاحب مدين.

وبالنظر والتأمل نجد النواحي التي تدرج المرأة في القصص القرآني الكريم تقرر معاني هي بالمرأة ألصق، وأنوثتها بها أحق، كما أنها تحقق عبيراً لا تتحقق دون ذكر المرأة، فعاطفة الأمومة تتمثل بمميزات في المرأة كالحنان والعطف، وتجلّى ذلك في

(١) التهامي نقرة نظرة سيكولوجية القصة في القرآن ص ٤٠٦ الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م

(٢) فريده بن عاشور صورة المرأة في القصص القرآني بين القبول والرفض مجلة الصوتيات العدد ٢٠ المجلد

٣ ص ٨٠٤ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ ديسمبر ٢٠١٨م

قصة امرأة فرعون حينما شاهدت موسى وهو طفل خارج من اليم، وموقف أم موسى بعد أن ألقته في اليم، وصفة الحياء الطبيعي والخلل المحبب لا يتجلى على وجهه الصحيح في غير المرأة ﴿فَجَاءَتْهُ إِحَدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

ومع ذلك فإن القصص القرآني يشير إلى ضعف المرأة أحيانا أمام عاطفة الحب حتى إنها لتتدفع في بعض المرات دون شعور إلى ما كان ينبغي خلافه مثل امرأة العزيز.

ولقد صور القرآن الكريم المرأة وهي في مكان الصدارة الدولية ملكة ذات دولة ودلال وذات سلطان وجلال، ولها في قومها المكان الذي اكتسبته بعقلها وحكمتها وتبديرها قبل أن تكتسبه بملكها وسلطانها ومثال ذلك ملكة سبأ.

وفي سمو القرآن ما يتجلى في قصصه عن المرأة وتصويره الجدي لأمرها دون الحاجة إلى بعض العناصر التي من شأنها أن تثير بعض العواطف أو تنبه بعض الغرائز^(١).

ولم يرد اسم لامرأة في قصص القرآن إلا السيدة مريم والسر في ذلك كما يقول د/ عبد الكريم الخطيب: (ومريم التي وقع عليها الاختيار القرآني لم تكن كباقي النساء يل كانت نموذجا نسائيا فريدا ومتميزا رفعها فوق نساء الأرض والدنيا جميعا إنها امرأة واحدة بين نساء العالمين جميعا تلك التي كان لها هذا الشأن ولو اغفل ذكر اسمها لفهم أنها مجرد امرأة وكفى ولكنها ليست كذلك إنها امرأة أراد الله سبحانه وتعالى أن يختصها بهذا الفضل العظيم وأن يجعلها وابنها آية للعالمين)^(٢).

والنماذج التي ذكرها القرآن الكريم للنساء نماذج مكرورة في شتى العصور، ففي كل العصور توجد المرأة العاقلة الحكيمة كملكة سبأ، وتوجد المرأة المؤمنة القوية الراغبة في رضا ربها كامرأة فرعون، وتوجد المرأة الأم المحبة لوليدها الخائفة عليه من المكروه

(١) السيد عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن ص ٧٠، ٧٢ بتصرف (مرجع سبق ذكره)

(٢) عبد الكريم الخطيب القصص القرآني في منظوقه ومفهومه ص ١١٧ دار المعرفة بيروت لبنان

كأم موسى، والأخت الحانية على أخيها كأخت موسى، والمرأة الحيي الخجول كبنت الرجل الصالح صاحب مدين، وكذلك توجد النساء الشريرات التي تخالف زوجها في الاستقامة والطاعة كامرأة نوح وامرأة لوط، وتوجد المرأة التي تضعف أمام شهوتها فتطلب الرجال للفاحشة على غير طبيعة الأنثى في مخلوقات الله حيث أن الأنثى دائماً مطلوبة لا طالبة مرغوبة لا راغبة، وتجلب العار والهوان لنفسها ولأهلها، ولكن مريم هي الوحيدة في عمر الدنيا التي تحمل دون التصاق برجل من البشر لذا كان التنصيب على اسمها مهما، وكما جاءت شخصيات خيرة كمؤمن آل فرعون، وذئ القرنين، وأصحاب الكهف جاء الحديث في القصص عن شخصيات شريرة كفرعون وهامان وقارون، وغيرهم.

وإذا أردنا أن نضرب مثالا على الأشخاص في القصة الواحدة، فيبدو ذلك في قصة يوسف عليه السلام، فقد جمعت القصة أنواعا من الشخصيات التي تختلف في طباعها فبجوار شخصية النبي يوسف توجد شخصيات أخرى الأب العطوف الذي يرى صراع أبنائه، ويظل يكتف في نفسه وتبكي عيناه حتى يذهب بصره، ولكنه على ثقة ويقين بربه، وشخصيات الإخوة الحاقدين المتأمرين، ومن هؤلاء الإخوة أحدهم موقفه ثابت، في بداية القصة عارض قتل يوسف وأشار بإلقائه في الحب ولعله هو كبيرهم الذي رفض العودة حتى يخلص أخاه أو يأذن له أبوه، ونموذج امرأة العزيز بغريزتها الأنثوية التي وصلت لأعلى قمة الشهوة فتصرفت دون تحفظ، ونسوة المدينة وحديثهن عن امرأة العزيز ومحاولتهن إغراء يوسف، ونموذج العزيز ذلك الرجل الذي يتبين له سوء سلوك زوجته وتظهر الحقيقة أمام عينيه ولكنه يتغافل، وشخصية الملك الذي فتح تحقيقا جديدا في القضية بعد طلب يوسف عليه السلام ولما ظهرت براءة يوسف وشهدت النساء على طهره وعفافه، وكان الملك عاقلا مدركا للأمور فاستجاب لطلب يوسف بأن يتولى خزائن الدولة. وهكذا أدت كل شخصية دورها في القصة فكانت القصة كاملة الأركان.

رابعاً: الحدث

الحدث الذي تدور حوله القصة، أو موضوع القصة فلكل قصة حدث تدور حوله ومن خلال قوته أو ضعفة تظهر القصة قوية متماسكة أو ضعيفة متفككة، وقصص القرآن كما قال ربنا سبحانه هو أحسن القصص: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴾ (١).

ولننظر إلى جمال القصص القرآني في هذا الجانب فيما يلي:

١- في قصة نبي الله يوسف عليه السلام وردت القصة كاملة في سورة واحدة بدأت برؤيا ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٢)، وتلاحقت الأحداث ولم يظهر تفسير الرؤية إلا في آخر السورة ﴿ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا ﴾ (٣)، وخلال القصة تتابع الأحداث

٢- في القصص القرآني تظهر الحبكة أو العقدة التي تربط القارئ أو المستمع بالقصة، وتجعله متشوقا لما سيأتي من أحداث وأضرب أمثلة لهذا في قصة نبي الله سليمان مع ملكة سبأ التي وردت في سورة النمل عدة حركات تشوق لمتابعة الحدث منها:

- بعد تهديد سليمان عليه السلام للهدد يتشوق المستمع ليعرف ما حل بالهدد.

- بعد قول سليمان عليه السلام ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤) أذهب بِكَتْنِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٤) تشويق لما سيفعل الهدد - بعد إرسال ملكة سبأ بهديتها تشويق لرد فعل سليمان عليه السلام

(١) يوسف: ٣

(٢) يوسف: ٤

(٣) يوسف: ١٠٠

(٤) النمل: ٢٧، ٢٨

- بعد المجيء بعرش ملكة سبأ تشويق لما سيحدث وهكذا.
- وتبدو الحكمة جلية في قصة نبي الله يوسف عليه السلام بما فيها من تشويق لمعرفة الأحداث
- بعد محاولة إخوة يوسف التخلص منه بإلقائه في البئر، والكذب على أبيهم
- بعد تعرضه لفتنة امرأة العزيز ومجيئ سيدها وهي في هذه الحالة
- بعد اشتراك نسوة المدينة في محاولة غواية يوسف
- بعد دخوله السجن ظلما
- بعد تفسيره لرؤيا الملك
- بعد مطالبة يوسف عليه السلام بفتح تحقيق جديد في القضية ليثبت براءته
- بعد أن تولى خزائن مصر ومجيئ إخوته ومعرفته لهم وإنكاره لهم
- بعد طلبه منهم أن يأتوا بأخيه
- موقف أبيهم لما طلبوا ذلك
- موقف إخوة يوسف بعد أخذ أخيه
- بعد معرفة أخوة يوسف له
- وهكذا تنتقل القصة من حدث إلى حدث مشوق للمتابعة
- ٣- مع ملاحظة أن الأحداث في القصة القرآنية لا تقف عند حد الظاهر من الشخصية، وإنما تتعداه إلى ما يدور داخل النفس وما تكنه المشاعر، ففي قصة نبي الله موسى مع صاحب مدين يقول الله سبحانه: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتِجْرَاءُ﴾
- خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٦١﴾^(١)، قد نلاحظ في هذه الآية الكريمة أن بنت

(١) القصص: ٢٦

صاحب مدين بعد أن رأته من نبي الله موسى عليه السلام ما تتمناه كل امرأة من قوة وأمانة، وبعد عن الحرام لمحت لأبيها بهذه الصفات، وفهم الرجل مشاعر ابنته وأحاسيسها، ووظف هذه المشاعر التوظيف الصحيح وهو الزواج، فعرض عليه أن يزوج ابنته في مقابل خدمة سنين ثماني أو عشر.

المطلب الرابع القصة والمناهج الدعوية

للدعوة مناهج تقوم عليها من أجل التأثير في المدعويين، ومن أهم مناهجها المنهج الحسي، والمنهج العاطفي، والمنهج العقلي

أولاً: المنهج الحسي

يعرف المنهج الحسي بأنه (النظام الدعوي الذي يركز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب) ^(١)

وقد جاء هذا المنهج في قصص الأنبياء عليهم السلام، وكان واضحاً تمام الوضوح فيما أيد الله به أنبياءه من خوارق للعادات شاهدها الناس بأعينهم، فقوم ثمود طلبوا من نبيهم صالح أن يأتي بأية ليصدقوه، وكان طلبهم أن يخرج لهم من الصخرة ناقة ينتفعون بلبنها ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ^(١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ^(١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ^(١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ^(١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ^(٢)

وكذلك في قصة نبي الله موسى عليه السلام حين طلب فرعون آية تدل على صدق موسى عليه السلام، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ^(٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ^(٢٥) قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ^(٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ^(٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ^(٢٨) قَالَ لِيْنِ اتَّخَذَتِ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ^(٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بَشَرٌ مِثْلِي ^(٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(٣١) فَأَلْقَى

(١) البيانوني: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢١٤ مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٩٥ م.

(٢) الشعراء: ١٥٣ - ١٥٨

عَصَاهُ فَإِنَّا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَمَانِهِ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٤﴾ (١).

ثانياً: المنهج العاطفي

يعرف المنهج العاطفي بأنه: (النظام الدعوي الذي يركز على القلب ويحرك الشعور والوجدان) (٢).

واستخدم القرآن الكريم هذا المنهج في كثير من قصص الأنبياء، ومن هذا ما حكاه القرآن الكريم من استمالة إبراهيم عليه السلام لأبيه وتودده إليه وإظهار الشفقة عليه والتأدب في مخاطبته ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) (٣)، والمعنى: واذكر خبر إبراهيم وقت أن قال لأبيه أزر مستعطفا إياه: يا أبت لماذا تعبد شيئاً لا يسمع من يناديه. ولا يبصر من يقف أمامه، ولا يغني عنك شيئاً من الإغناء، لأنه لا يملك لنفسه - فضلاً عن غيره - نفعا ولا ضرا.

ثم دعاه إلى اتباع الحق بالطف أسلوب فقال: يا أبت إنني قد جاءني من العلم النافع الذي علمني الله - تعالى - إياه ما لم يأتك أنت، فاتبعني فيما أدعوك إليه أهدك صراطا سويا أي: أهدك إلى الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ولا اضطراب.

(١) الشعراء: ٢٣ - ٣٣

(٢) البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٤ (مرجع سبق ذكره)

(٣) مريم: ٤١ - ٤٨

ثم نهاه عن عبادة الشيطان، لأنها جهل وانحطاط في التفكير فقال: يا أبت لا تعبد الشيطان فإن عبادتك لهذه الأصنام هي عبادة وطاعة للشيطان الذي هو عدو للإنسان.

ثم علل له هذا النهي بقوله: إن الشيطان كان للرحمن عصيا أي: إن الشيطان كثير العصيان، لا يهدي الناس إلى طاعة الله، وإنما يهديهم إلى مخالفته ومعصيته وموجبات غضبه.

ثم ختم هذا النداء بما يدل على حبه له، وشفقته عليه فقال: يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا.

أي: يا أبت إنني أشفق عليك من أن ينزل بك عذاب من الرحمن بسبب إصرارك على عبادة غيره، وبذلك تصبح قرينا للشيطان في العذاب بالنار، لأنك انقذت له، وخالفت طريق الحق.

بهذا الأسلوب الحكيم الهادي الرقيق ... خاطب إبراهيم أباه، وهو يدعو إلى عبادته - تعالى - وحده^(١).

يقول الشيخ الشعراوي: يبدو من أسلوب إبراهيم عليه السلام مع أبيه أدب الدعوة، حيث قدم الموعظة على سبيل الاستفهام حتى لا يشعر أباه بالنقص، أو يظهر له أنه أعلم منه^(٢).

ونلاحظ أيضا استخدام المنهج العاطفي في قصص الأنبياء في أداة النداء فكل نبي كان يتودد لقومه بأنه واحد منهم يخاف عليهم سوء الحال إذا لم يؤمنوا ونبي الله يوسف يقول لمن معه في السجن ﴿يَصْصِيحُ السَّجْنِ﴾ ومؤمن آل فرعون يخاطب مشاعر قومه فيقول لهم يا قوم

وهكذا نجد القصص القرآني قد استعمل الجانب العاطفي في الدعوة إلى تعالى.

(١) طنطاوي: الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط (٩/ ٤١، ٤٢) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى

(٢) الشعراوي: محمد متولي الشعراوي تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٠٩٧) مطابع أخبار اليوم

ثالثاً: المنهج العقلي

ويعرف المنهج العقلي بأنه: (النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ويدعو إلى التدبر والتفكير) ^(١).

والناظر في قصص الأنبياء عليهم السلام يجد أنهم عليهم السلام قد سلكوا الجانب العقلي في دعوة قومهم، وردوا على ما أثاروه من شبهات ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِيْ أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَنْ مَا كَانَتِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ ^(٢).

يقول العلامة ابن كثير: يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أمهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾

وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصول إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحوادث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

(١) البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٨ (مرجع سبق ذكره)

(٢) إبراهيم: ٩، ١٠

والمعنى الثاني في قولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: أفي إلهيته وتفردته بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى^(١).

ويستخدم نبي الله إبراهيم عليه السلام المنهج العقلي في الاعتراض على عبدة الأصنام ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)﴾^(٢).

يقول الفخر الرازي: وتقرير هذه الحجة التي ذكرها إبراهيم عليه السلام أن الغالب من حال من يعبد غيره أن يلتجئ إليه في المسألة ليعرف مراده إذا سمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة، فقال لهم فإذا كان من تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم، ولو عرف ذلك لما صح أن يبذل النفع أو يدفع الضرر فكيف تستجيزون أن تعبدوا ما هذا وصفه؟^(٣).

(١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير ابن كثير

(٤/ ٤٨٢) تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

(٢) الشعراء: ٧٢، ٧٣

(٣) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥١٠) دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

المطلب الخامس أساليب الدعوة في القصص القرآني

يقول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ مَا لَيْسَ بِكَ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) ﴿١﴾.

من هذه الآية نفهم أن أساليب الدعوة تتمحور حول الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى.

أولاً: الحكمة

الحكمة معناها القول الدقيق المتقن، الموجز، الموصل لليقين في أساليب بيانية مختلفة كأن تكون قسماً، أو تشبيهاً، أو صورة بديعة. فكل تلك الطرق حكيمة تبدو الأساليب خلالها، والحكمة كوسيلة دعوية هي المنهج المتضمن للحجج العقلية، والأساليب المختلفة، وهي أعلى طرق الدعوة، وأوفى سبل الوصول للعقل، وتعني أيضاً تقديم الأدلة البرهانية البيانية الموجزة المؤكدة للحق في أسلوب جذاب وبيان واضح مفهوم، والحكمة منهج حدد وكلام موجز، وتحديد دقيق للغاية يتجه إلى العقل المجرد، ويضعه أمام أمر محدد واضح لا ينكره إلا جاحد (٢).

وقد استخدمت القصة القرآنية أسلوب الحكمة في الدعوة وأمثلة كثيرة منها:

حديث موسى عليه السلام لسحرة فرعون ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (٣) ﴿١١﴾ (أي: لا تتصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبا الحق، وتفتروا على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيّب

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) راجع د أحمد د أحمد غلوش: ركائز القدوة في تفسير الدعوة ج ٨ ص ٧٩٣، ٧٩٢ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

(٣) طه: ٦١.

سعيكم وافتراؤكم، فلا تتركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون وملئه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب.

لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا، ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟^(١).

وقول موسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُكُم لِّينَ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۖ﴾ (٧) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنَا اللَّهُ لَعَنِي حَيْدٌ ﴿٨﴾^(٢)، وهذه الحكمة لبني إسرائيل بعد أن ذكرهم بنعم الله عليهم بنجاتهم من آل فرعون الذين كانوا يضطهدونهم ويذلونهم بالاعتداء على الأنفس والأعراض، وخلصهم من آل فرعون كان نعمة عظيمة تستوجب الشكر لله صاحب النعم الذي يزيد من يشكر من نعمه ولا يضره كفران الكافرين الجاحدين.

وقول نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿يَصْصِجِي السِّجْنَ ۖ أَزْيَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ﴾ (٣) (أي: عبادة رب واحد وإرضاءه خير أم عبادة عدد وإرضاء نفر؟ لأنه إذا عبد بعضاً واجتهد في إرضائهم أسخط الباقين؛ فلا سبيل إلى الوصول إلى مقصوده والظفر بحاجته؛ إذ لا يقدر على إرضائهم جميعاً، وإن اجتهد، وأما الواحد: فإنه يقدر على إرضائه؛ إذ لا يزال يكون في عبادته وإرضائه؛ فيصل إلى حاجته والظفر بمقصوده.

والثاني: يخبر أن الواحد القهار يقهر غيره من الأرباب ومن تعبدون؛ فعبادة الواحد القهار خير من عبادة عدد مقهورين)^(٤).

(١) السعدي: تيسير الكريم الرحمن ص: ٥٠٨ (مرجع سبق ذكره)

(٢) إبراهيم: ٧، ٨

(٣) يوسف: ٣٩

(٤) الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة

ثانياً: الموعظة الحسنة

يراد بها عملية الإثارة العقلية، والتشويق النفسي الذي يوقظ الهمة ويحقق الانفعال، ويشد الناس إلى كلمات الداعية، والموعظة تتجه للروح والوجدان، وتدور مع الأمل والأمني والأحلام، وتجذب النفس والضمير إليها، والموعظة كلام طويل يثير الانفعال، ويهيج العواطف، وينشر الحب والخوف وسط المدعويين ليؤمنوا بالله تعالى^(١)

ومن أمثلة الموعظة الحسنة في قصص الأنبياء:-

١- ما وعظ به نبي الله هود عليه السلام قومه: ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرِمَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْفَوْرِمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْفَوْرِمَ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا مُعْطَفَاتُ بَعْضِ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنْ شَهِدْتُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿٥٦﴾ إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾﴾^(٢).

ويحذرهم قائلاً: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخْدَوْنَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

(٦/ ٢٤١) تحقيق: د. مجدي باسلوم دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(١) راجع د أحمد غلوش: ركانز القدوة في تفسير الدعوة ج٨ ص ٧٩٣ (مرجع سبق ذكره)

(٢) هود: ٥٠ - ٥٧

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ (١٣٣) وَحَنَنْتِ وَعْيُونِ (١٣٤) إِنْ أَحَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) (١).

٢- ونبي الله صالح يعظ قومه قائلا: ﴿وَالِئِنْ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ مَا يَأْخُذُكُمْ عَذَابُ آيَةٍ (١٣٦) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٣٧)﴾ (٢).

﴿أَتَنْتَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٣٨) فِي جَنَّتِ وَعْيُونِ (١٣٩) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَضِيمٌ (١٤٠) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ (١٤١) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٢) وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (١٤٣)﴾ (٣).

نبي الله صالح يعظ قومه بعدم كفران نعمة الله، فيحذرهم من الاعتداء على الناقة التي جاءتهم بينة من ربهم تدل على صدق نبيهم، كما وعظهم بنعم الله عليهم بتشديد القصور في السهول المستوية ونحت بيوت من الجبال لتكون سكنا لهم، وهذا يدل على مدى الرفاهية التي وصل لها هؤلاء القوم.

٣- ونبي الله شعيب يعظ قومه ويقول لهم: ﴿وَالِئِنْ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

(١) الشعراء: ١٢٨ - ١٣٥

(٢) الأعراف: ٧٣، ٧٤

(٣) الشعراء: ١٤٦ - ١٥٢

ثَوِّعْدُونَ وَتَصَّدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ ۖ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴿١﴾

يعظمهم نبيهم **عليه السلام**، ويأمرهم بالإيمان بالله وحده، وينهاهم عن الانحراف الاقتصادي بالغش في المكيال والميزان، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ثم يبين لهم أن الباقيات التي تتفعهم هي الباقيات الصالحات من البركة وسعة الرزق والذكر الحسن عند الناس من بعدهم.

ثالثاً: الجدل بالحسنى

الحدل: مدافعة قولية ومخاصمة بين طرفين متقابلين في مسألة ما، كل يقصد إثبات مدعاه، وإبطال مقابله^(٢).

ومن الجدال بالحسنى ما سجله القرآن في مجادلة نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ بِذِكْرِ مُبِينٍ ٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّي وَءَالَسُنِيَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاهُمْ مَاءً مَلُوحًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْتَلِكُمْ عَلَيْهِ مَا لَانِ آجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَضُرُّنِي مِنْ

(١) الأعراف: ٨٥ - ٨٧.

(٢) د أحمد أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ٧٨٢ (مرجع سبق ذكره)

اللَّهُ إِنْ طَرَفْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي
مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا بَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ
أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ يُرِيكُمْ هُوَ يُضَيِّقُ لَكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ (١).

فقد اعترضوا على نبوته بعدة أمور أنه بشر، وأن أتباعه من الفقراء المستضعفين،
واتهموه بالكذب فيما ادعاه من النبوة

وقد رد عليهم نوح عليه السلام بأنه على بينة من ربه، وأن رحمة الله أصابته، وهو لا
يملك إلزامهم بالهداية، وأنه لا يطلب أجرا على هدايتهم، وأنه لا يملك خزائن الله
فيتصرف فيها وفق ارادته، وأن هؤلاء المستضعفين حسابهم وأجرهم على الله، ولما يؤس
القوم في الرد على نوح عليه السلام كان حالهم كحال المكذبين بالدعوات الإلهية في طلب
العذاب العاجل.

ومن أمثلة الجدل بالحسنى محاجة نبي الله إبراهيم عليه السلام لملك عصره ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي
حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨٨﴾ (٢)، فالرغم من أن الملك دخل في تفكير سوفسطائي حول الإحياء
والإماتة إلا أن نبي الله إبراهيم ترك له هذ الشغب في القول ليلزمه بالحجة والبرهان في قدرة
الله في تسيير أمور الكون، ولم يجد الملك جوابا بهت تحير وانقطعت حجته وجداله.

(١) هود: ٢٥ - ٣٤

(٢) البقرة: ٢٥٨

المطلب السادس أثر القصة في أركان الدعوة

أركان الدعوة ثلاثة الداعي والمدعو وموضوع الدعوة، وكان للقصة القرآنية أثرها الواضح في هذه الأركان

أولاً: أثر القصة على الداعية

الدعوة ليست شيئاً يتحرك بذاته، ولكنها تحتاج إلى من يحملها ويوصلها للناس حتى يتم البلاغ ومن أثار الدعوة على الداعية ما يأتي:

١ - تحفيز الداعية للقيام بدعوته مهما كان موقف المعارضين:

فعدم الاستجابة للداعية لا يجعله يتوانى أو يتكاسل بل يكرر دعوته مرات ومرات دون كلل أو ملل يتعلم ذلك من قصة نبي الله نوح الذي دعا قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً لمدة طويلة جداً بلغت ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع طول المدة وتكرار الدعوة لم يؤمن به إلا القليل على حسب ما عبر القرآن الكريم ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (١)، وقد أفادت العبرة من قصة نوح عليه السلام أنه مهما شرد المدعوون بجهلهم، وجنحوا عن قبول التوجيه فإنه لا ينبغي للداعي أن يسأم أبداً مهما طال المدى واتسعت الرقعة، فإن النصر للصابرين، وأن العاقبة للمتقين، وهي العبارة الوحيدة التي عقب بها على قصة نوح عليه السلام في ألوانها المختلفة وصورها المتعددة (١)، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

٢ - الصبر على الإيذاء والاستهزاء من المعارضين:

لأن الداعية لما كانت وظيفته الإصلاح وكان طبع الغالية من الناس أنهم يحبون الصالح ولا يحبون المصلح فلقد كان قوم نبي الله صالح عليه السلام يعترفون برجاحة عقله

(١) السيد عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن ص ٢٠٠ (مرجع سبق ذكره)

(٢) هود: ٤٩.

وفضله وانهم يرجون فيه أن يكون من كبرائهم، ولكنهم بعد أن بدأ يدعوهم إلى الإصلاح الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة تغير موقفهم ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَذَكُوتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢)، (أي: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه. ولكنه، لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة، التي مضمونها، أنك قد كنت كاملا والآن أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير) (٢)

ويقول مولانا الشيخ طنطاوي: قالوا: (يا صالح لقد كنت فينا رجلا فاضلا نرجوك لمهمات الأمور فينا لعلمك وعقلك وصدقك.. قبل أن تقول ما قلت، أما الآن وبعد أن جئتنا بهذا الدين الجديد فقد خاب رجأؤنا فيك، وصرت في رأينا رجلا مختل التفكير) (٣)

وقوم نوح عليه السلام سخرُوا منه ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٢٨)، (٤)، وكان هذا موقفا عاما سلكه المكذبون بالرسالات الإلهية ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠)، (٥).

يقول ابن كثير: (هذا تسلية لرسوله محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة) (٦).

(١) هود: ٦٢.

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٣٨٥)

(٣) طنطاوي: التفسير الوسيط (٢٣٣ / ٧)

(٤) هود: ٣٨

(٥) الأنعام: ١٠

(٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢٤٢ / ٣)

ويضيف الشيخ السيد عبد ربه عن العبرة من قصة نوح عليه السلام فيقول: (عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو قومه ليلا ونهارا وإعلانا وإسرارا دون أن يتطرق إليه يأس أو يصيبه ملل، حتى صنع السفينة بأمر الله، وهبط منها بسلام وبركات من الله، ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، وفي ذلك عبرة وأي عبرة، وتشجيع وحذاء لكل مصلح يلقي من العصيان ما يلقاه مهما طال أمده ومدهاه، وفيه نذير للذين أجرموا، والذين يسخرون من الهداة المصلحين لقد كان نوح يتلطف لقومه ويؤثرهم بنصحه إلى أبعد حد وآخر شوط حتى سألوه العذاب وأصروا على موقفهم منه سابقهم ولاحقهم كبيرهم وصغيرهم ولكنه لا يبالي بغير الدعوة إلى الله، ولا يتمسك إلا باللجوء إلى كنفه وحماه)^(٢)

٣- الثبات على المبدأ مهما كانت التهديدات:

إن الداعي إلى الله - تعالى - عند ما يخلص لله في دعوته، ويعتمد عليه - سبحانه - في تبليغ رسالته، ويغار عليها كما يغار على عرضه أو أشده. فإنه في هذه الحالة سيقف في وجه الطغاة المناوئين للحق، كالطود الأشم، دون مبالاة بتهديدهم ووعيدهم.. لأنه قد أوى إلى ركن شديد. فهو عليه السلام وهو رجل فرد يواجه قوما غلاظا شدادا طغاة، إذا بطشوا بطشوا جبارين، ومع كل ذلك عند ما يتناولون على عقيدته، ويراهم قد أصروا على عصيانه. يواجههم: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾^(٣) من دونهم فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤)، وهكذا الإيمان بالحق عند ما

(١) الروم: ١٠

(٢) السيد عبد ربه: بحوث في القصص القرآني ص ٣١١، ٣١٢

(٣) هود: ٥٤ - ٥٦

يختلط بالقلب ... يجعل الإنسان يجهر به دون أن يخشى أحدا إلا الله - تعالى. (١)

٤- التحصن بقدره الله واللجوء إليه:

نتعلم ذلك من المصطفين الأخيار، فمن نبي الله يعقوب نتعلم التسليم التام لرب العالمين، فأبناؤه لم يراعوا مشاعره رغم كبر سنه، وحزنه على ابنه، الذي أدى إلى ذهاب بصره ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَفِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) ﴿١﴾، ولوط عليه السلام حينما صادف الهول من فومه في محاولتهم لفعل الفاحشة مع ضيوفه من الملائكة ولما لم تكن به قوة تدفع طغيانهم ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَدِي قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٧) ﴿٢﴾، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يغفر الله للوط إنه أوى إلى ركن شديد» (٤).

يقول الشيخ الغزالي: كان لوط بشرا عندما داخله الحرج الشديد لما رأى المجرمين من حوله ينظرون بخسة وشره إلى وفد الملائكة عنده لقد تمنى أن يكون ذا عصبية ليرد بها السفلة حتى طمأنته الملائكة أن مصير القوم يقترب وقول النبي ﷺ (رحم الله لوطا كان يأوي إلى ركن شديد) يعني أن الله ما كان ليتركه، وما كان له أن يأسى على عصبية مفقودة (٥)، وموسى عليه السلام لما خافوا لحاق فرعون لهم أعلنها قوية ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) ﴿١﴾، ونموذج

(١) طنطاوي: التفسير الوسيط ج ٧ ص ٢٣٠ بتصرف

(٢) يوسف: ٨٥، ٨٦

(٣) هود: ٨٠

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ رقم الحديث

(٥) الغزالي: فن الذكر والدعاء عند خاتم المرسلين ص ٤٦ دار الشروق

(٦) الشعراء: ٦١، ٦٢

التحصن بالله سبحانه كان مثلاً ضربه الله للمؤمنين في قصة امرأة فرعون التي وقفت في وجه فرعون وملئه ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾^(١).

٥- الأخذ بالأسباب القرآن الكريم يحترم قانون السببية:

إن قانون السببية أي الأخذ بالأسباب قانون ظاهر وواضح في آيات القرآن الكريم وقصص المرسلين الذي جاء في القرآن لنعتبر به ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ هذا القصص يوضح لنا الأخذ بالأسباب، نبي الله موسى عليه السلام حينما خرج من مصر وطارده فرعون ووصل إلى البحر كان من الممكن أن تتدخل القدرة مباشرة وينفلق البحر ولكن يأمره الله بضرب البحر أخذًا بالأسباب ونلمح في قصة يوسف عليه السلام وهو يفسر رؤيا الملك التي رآها ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾^(٢)، أي ذروا القمح في سنبله لا تخرجه من السنابل بل خزنوه على تلك الحالة حتى لا يأتي إليه السوس، يقول العلامة ابن كثير: أرشدهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: مهما استغلتم في هذه السبع السنين الخصب فأخزنوه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلاً قليلاً لا تسرفوا فيه، لتتنفعوا في السبع الشداد، وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع متواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السمان؛ لأن سني الجذب يؤكل فيها ما جمعه في سني الخصب، وهن السنبلات اليابسات. وأخبرهم أنهم لا ينبتن شيئاً، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء؛ ولهذا قال: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ

(١) التحريم: ١١

(٢) يوسف: ٤٧

﴿٤٨﴾^(١)، وفي قصة مريم وهي في لحظة المخاض في لحظة الضعف يقول لها ربها أمراً إياها: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِمِجْنَعِ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾^(٢)، ومن المعلوم أنه لو اجتمع عشرة من الرجال على هز جزع نخلة ما استطاعوا ولكنها في لحظة المخاض تؤمر وتنفيذ الأمر أخذاً بالأسباب، وعلى الدعاة أن يأخذوا بالأسباب في توصيل الدعوة للمدعويين.

٦ - علاقة الدعاة بعضهم ببعض

الداعية الحق لا يعيش في معزل عن زملائه في العمل الدعوي، بل من وجود تواصل فكري وعلمي واجتماعي بين الدعاة يقول د/ غلوش في تعقيبه على دفاع نبي الله إبراهيم عن لوط عندما أخبر بهلاك قوم لوط (هذا التواصل والتناصر يجب أن يكون أساس التعامل بين دعاة اليوم ليستفيد كل مما عند أخيه من تجربة وعلم وخبرة لأن نجاح الواحد نجاح للآخر، ولا يصح مطلقاً أن يكون التنافس والتضارب موجوداً بين الدعاة. إن جميع الدعاة يخدمون دينهم، ولن ينجحوا في أداء مهمتهم إلا بالحب والتعاون والمواولة)^(٣).

٧ - الاستمرار في العمل الدعوي مهما كانت العقبات

الاستمرار في الدعوة، والإلحاح في طلب الإيمان، من ضرورات الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن غاية الدعوة إيجاد إنسان جديد، ينخلع تماماً من حياته وضلاله ليتحول إلى عبد رباني، ينطوي بباطنه على قَبَسٍ من نور الله، وتمتلى جوارحه بالتقوى، والطاعة، والاستقامة على منهج الله. إن هذا الأمر لا يحتاج إلى مجرد العرض، ولا

(١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٣)

تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(٢) مريم: ٢٥

(٣) د غلوش: دعوة الرسل عليهم السلام ص ١٤ مؤسسة الرسالة ٢٠٠٢ م

يكفيه الطلب لمرة واحدة، ألا ترى الطبيب يداوم العلاج حتى يشفى مريضه، والتربية الجادة تحتاج إلى مداومة، ومتابعة واستمرار مع مراحل العمر كله، وليس هناك أسمى من الدعوة، وكل بذل لها هو في الطريق الصحيح. وذلك لأن الدعوة الإلهية تتصادم مع قوى اجتماعية عديدة، فهي تتصادم مع المألأ ووجهاء القوم الذين يعيشون على استعباد الضعفاء، واستغلالهم.... كما تتصادم مع كل متأله من الناس، سواء كان تألهه بالتحليل والتحرير، وهو يشرع بعقله للناس، أو يحب أن يرفعه الناس إلى درجة الإله يخافونه، ويرجونه، ويعظمونه ... كما تتصادم مع كل ضال يعبد غير الله، سواء كان معبودا حسيا أو معنويا. هذه الصدامات تؤدي إلى مشاق ومصاعب في طريق الدعوة؛ ولذلك لا بد من ملازمة الداعية للتحمل، والصبر، ومقابلة السيئة بالحسنة كمنهج لا بد منه لنجاح الدعوة^(١).

ثانيا: أثر القصة على المدعوين

القصة تبين طبائع المدعوين وموقفهم من الرسالات السماوية، فقد تشابهت المعارضة للأنبياء عليهم السلام

١- الاعتراض على بشرية الرسل عليهم السلام، فقد اعترض المكذبون على أنبيائهم بسبب أنهم بشر وهو الأمر الذي تشابهت فيه المعارضة للأنبياء عليهم السلام، فكان لسان قوم نوح ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾^(٢)، وكان اعتراض قوم صالح على رسالته ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾^(٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثْلَنَا وَجَدْنَا نَبَعْنَاهُ إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿ أَمْ لَفَى الدُّكُرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾^(٤). وتكرر هذا الاعتراض مع أهل القرية في سورة يس، ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ

(١) د غلوش: دعوة الرسل عليهم السلام ص ٧١

(٢) هود: ٢٧

(٣) القمر: ٢٣ - ٢٥

الْقُرَيْةَ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١﴾، وكان لسان حال أهل مكة في اعتراضهم على سيدنا محمد ﷺ بأنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۚ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ﴿٧﴾ ﴿٢﴾ وفي سورة التغابن توضيح لهذا ورد على أهل مكة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۖ وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴿٣﴾، وسبب اعتراضهم على كون الرسول بشراً (أن الأشخاص الإنسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع أن يبلغ التفاوت بين تلك الأشخاص إلى هذا الحد وهو أن الواحد منهم يكون رسولاً من الله تعالى مطلعاً على الغيب، مخالطاً لزمرة الملائكة، والباقون غافلون عن هذه الأحوال أيضاً كانوا يقولون: إن كنت قد فارقتنا في هذه الأحوال العالية الإلهية الشريفة وجب أيضاً أن تفارقنا في الأحوال الخسيسة، وهي الحاجة إلى الأكل، والشرب، والحديث والوقاع، وهذه الشبهة هي المراد من قولهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: أي في الصورة ولستم ملائكة، وإنما تريدون بقولكم أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا. ﴿٤﴾

وقد رد القرآن على أهل مكة حين اعترضوا على بشرية الرسول كما صورته سورة

(١) يس: ١٣ - ١٥

(٢) الفرقان: ٧

(٣) التغابن: ٥، ٦

(٤) ابن عادل: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) اللباب في علوم الكتاب (١١ / ٣٥٢) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

الأنعام ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفُتِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُونَ ﴿١﴾ ﴿١﴾.

أنهم إذا شاهدوا الملك زَهَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ من هَوْل ما يشاهدون؛ لأنَّ الآدمي إذا رأى الملك، فإمّا أن يراه على صورته الأصلية، أو على صورة البشر، فإن رآه على صورته الأصلية غشي عليه، وإن رآه على صورة البشر، فحينئذ يكون المرئي شخصاً على صورة البشر عاينوا الملائكة في صورة البشر كأضياف إبراهيم وأضياف لوط، وخصَّهم داود وجبريل حيث تخَّلَّ لمريم بشراً سَوِيّاً. وقوله: ﴿جَعَلْنَاهُ مَلَكَ﴾ يعني: لو أرسلناه إليهم ملكاً لجعلناه رجلاً يعني في صورة رجل آدمي؛ لأنهم لا يستطيعون النَّظَرَ إلى الملائكة، كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وجاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين، ولأن الجنس إلى الجنس أَمِيلٌ وأيضاً فإنَّ طاعة الملائكة قُوَّةٌ، فَيَسْتَحْفِزُونَ طَاعَتِ الْبَشَرِ، ورُبَّمَا لا يعذرونهم بالإقدام على المعاصي (٢).

٢- وصف الرسل بالسحر والجنون، فحينما عجز المكذبون عن الرد على الرسل اتهموهم بالسحر تارة وبالجنون تارة أخرى، أو بالأمرين معا على الرغم من التناقض بينهما، (لأن الساحر هو الذي بلغ في العلم في كل شيء غايته، والمجنون هو الذي بلغ في الجهل غايته) (٣)، فقوم نوح ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ مُّكَذِّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ (٤)، وسلك فرعون نفس المسلك مع نبي الله موسى عليه السلام ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّىٰ مُرْكِبُهُ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٢٩﴾﴾ (٥)، وكان هذا

(١) الأنعام: ٨، ٩.

(٢) المرجع نفسه ج ٨ ص ٣٨، ٣٩ بتصرف

(٣) الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩ / ٣٩٢)

(٤) القمر: ٩

(٥) الذاريات: ٣٨، ٣٩

مسلك أهل مكة مع النبي محمد ﷺ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَزَرُكُمْ إِلَهَتَنَا لِيُشَاعِرَ كَجُنُودٍ ﴿٣٦﴾ (١).

يقول الخازن: أي كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك ما أتى الذين من قَبْلِهِمْ أي من قبل كفار مكة والأمم الخالية من رُسُولٍ يعني يدعوهم إلى الإيمان والطاعة إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ قال الله تعالى أَتَوَاصُوا بِهِ أَي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه وفيه توبيخ لهم بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ أي لم يتواصلوا بهذا القول لأنهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (٢).

ولذا رد عليهم القرآن ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٣٥) أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٦﴾ (٣).

يقول الزمخشري: (يعنى: أتواصى الأولون والآخرين بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ أي لم يتواصلوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد، بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان، والطغيان هو الحامل عليه) (٤).

٣- موقف الملأ وهم الكبراء والوجهاء الذين يتصدرون المجالس، وكان موقفهم من الرسالات الإلهية موقف الصد وعدم الاستجابة خوفا على مركزهم الاجتماعي بين الناس، وكان هذا الموقف مطردا مع كل الأنبياء، فكان موقف الملأ من نوح عليه السلام

(١) الصافات: ٣٥، ٣٦

(٢) الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ١٩٧) تصحيح: محمد علي شاهين دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(٣) الذاريات: ٥٢، ٥٣

(٤) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٠٥)

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(١)، ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾^(٢)، ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَنَرِيصُوا بِهِ حَتَّىٰ جَاءَ جِبْرِيلُ ﴾^(٣)، ﴿ وَالْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ هود ﴾ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٤)، ﴿ وَالْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ صالح ﴾ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مَرَّسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾^(٥)، ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾^(٦)، ﴿ وَالْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ شعيب ﴾ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالُوا لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾^(٧)، ﴿ وَقَالَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴾^(٨)، ﴿ وَالْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فرعون ضد موسى ﴾ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾^(٩)، ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَعَالِهَتَكَ قَالِ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾^(١٠)، ﴿ وَهُمْ الْمَتَأَمِرُونَ عَلَى قَتْلِ مُوسَى ﴾ ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

(١) الأعراف: ٦٠

(٢) المؤمنون: ٢٤، ٢٥

(٣) الأعراف: ٦٦

(٤) الأعراف: ٧٥، ٧٦

(٥) الأعراف: ٨٨

(٦) الأعراف: ٩٠

(٧) الأعراف: ١٠٩، ١١٠

(٨) الأعراف: ١٢٧

يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّىٰ ابْنُ الْمَلَأَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾، وتكرر موقف المَلَأَ مع سيدنا محمد ﷺ ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِدُوا عَلَىٰ إِلَهِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا مَعَنَا بِهِذَا فِي الْآلِهَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴿٢﴾.

ويقول د/ غلوش: وللعاقل أن يتساءل: ولم يكون المَلَأَ المنعمون هم قادة الكفر، وأكبر أعداء الدعوة؟ مع أنها تتنادي بعقيدة حقة ومعاملات راقية، وخلق كريم

والجواب والله أعلم: أن المَلَأَ يتمتعون بمزايا جديدة في مجتمعهم معتمدين على قهر الضعفاء، يسوسون العامة بالهائهم، وابعادهم عن الحق، ولذلك تعد الدعوة متعارضة مع وضعيتهم، وحياتهم، فلا عجب أن كانوا أكبر أعدائها.

إن انتشار منهج الله تعالى بين الناس يحقق العدل والمساواة والاخوة، ويصون كافة الحقوق، ويحدد جميع الواجبات، وفي نفس الوقت يقضي على جميع المظالم، ولا يرضى بالفساد أبداً، وبذلك يقضي على الكبر والاستعلاء والاستغلال، وحينئذ يزول كل ما للمَلَأَ من جاه وسلطان لزوال أسسه ودعائمه (٣).

والملاحظ أن المَلَأَ يقفون في وجه الرسالات الإلهية، ولكنهم في نفس الوقت خاضعون ذليلون لحكامهم ليس له رأي معهم، فما استطاع أحد منهم أن يرد ادعاء فرعون للألوهية

والمَلَأَ في مملكة سباً على الرغم من طلب ملكتهم رأيهم إلا أنه لم يكن عندهم رأي

(١) القصص: ٢٠

(٢) ص: ٤ - ٨

(٣) د غلوش دعوة الرسل عليهم السلام ص ٨٨

يبدونه بل أعلنوا عن قوتهم وفوضوا اتخاذ القرار إليها يقول الزمخشري: (أرادوا بالقوة: قوة الأجساد وقوة الآلات والعدد. وبالبأس: النجدة والبلاء في الحرب وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ أي هو موكول إليك، ونحن مطيعون لك، فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك. كأنهم أشاروا عليها بالقتال. أو أرادوا: نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة، وأنت ذات الرأي والتدبير، فانظري ماذا ترين: نتبع رأيك^(١)، وفي المقارنة في القصة نفسها نجد الطائر الصغير له رأي يطرحه أمام النبي الملك وهؤلاء الوجهاء لا رأي لهم.

٤- التهديد بالطرد: حينما عجز المكذبون للرسل عن الرد على الرسل لجأوا للتهديد بالقتل فقد هدد قوم نوح نبيهم ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾^(٢)، وقد هدد أصحاب القرية رسلهم ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٣).

وأما التهديد بالطرد والابعاد عن الوطن الذي نشأ فيه الأنبياء فقد جاء حديث القران بصورة مجملة عن موقف الكفار من الأنبياء وتهديدهم بالطرد في سورة إبراهيم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهْلِكَنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٤) وَلَنُكْنِتَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ^(٥)، فأهل الباطل لا يريدون أن يكون للحق وأهله وجود، وذلك لأن الحق سيؤثر على مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم على تسخير الضعفاء لخدمتهم، فيفقدون عزهم وجاههم والسبب في إعلان التهديد بالطرد كما يقول الفخر الرازي: (والسبب فيه أن أهل الحق في كل زمان يكونون قليلين وأهل الباطل يكونون كثيرين والظلمة والفسقة يكونون متعاونين متعاضدين، فلهذه الأسباب قدروا على هذه

(١) الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٦٤)

(٢) الشعراء: ١١٦

(٣) يس: ١٨

(٤) إبراهيم: ١٣، ١٤

السفاهة^(١).

وجاء التهديد مفصلاً في قصتي لوط وشعيب عليهما السلام، أما في قصة لوط فقد جاء التهديد بالطرد في ثلاثة مواضع: في الأعراف والشعراء والنمل لقد أعلن قوم لوط تهديدهم بالطرد لنبيهم يقول الزمخشري: (وقولهم إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعادوا عنا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهّد وأَهْلُهُ ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين)^(٢)، فأهل الفسق يمتقنون أهل الطهر (وللنقص والرذائل دركات، كما أن للكمال والفضائل درجات، فأولاهما أن يلم بالرديلة وهو يشعر بقبحها، ويلوم نفسه عليها، ثم يتوب إلى ربه منها، ويلبها أن يعود إليها المرة بعد المرة مستتراً مستخفياً، ويلبها أن يصر عليها، حتى يزول شعوره بقبحها، ويلبها أن يجهر بها، ويكون قدوة سيئة للمستعدين لها، ويلبها أن يفاخر بها أهلها، ويحتقر من يتنزهون عنها، وهذه أسفل الدركات، وهي درجة قوم لوط)^(٣).

وأما قوم شعيب فقد هددوه بالطرد من البلد الذي يعيش فيه ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾^(٤).

والحديث عن التهديد بالطرد في قصتي لوط وشعيب عليهما السلام لأن دعوتهما كانت لمحاربة الفساد الأخلاقي الذي استشرى في قومهما.

ثالثاً: القصة وركائز الدعوة

الأصول العامة للدعوات الإلهية هي الإيمان والعبادة والأخلاق، والقصص

(١) الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩ / ٧٦)

(٢) الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ / ١٢٦)

(٣) رشيد رضا: تفسير المنار (٨ / ٤٥٨)

(٤) الأعراف: ٨٨.

القرآني يوضح هذه الأركان الثلاثة.

أولاً: الإيمان: إن الهدف الرئيسي الذي جاء من أجله الرسل عليهم السلام هو الإيمان، ولذا كانت الكلمة الأولى في دعوات الرسل عليهم السلام هي الدعوة إلى التوحيد ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وتكرر هذا في قصص الأنبياء تسع مرات أربع منها في سورة الأعراف وثلاث في سورة هود واثنان في سورة المؤمنون. فالدعوة إلى توحيد الله سبحانه وعدم الشرك به كانت الهدف العام في قصص الأنبياء.

ثانياً: العبادة: من الأصول التي اتفقت عليها الشرائع السماوية التوجه إلى الله بالعبادة من صلاة وصيام وزكاة وغيرها من القربات وهذا بين واضح في قصص الأنبياء في القرآن الكريم

ثالثاً: الأخلاق: الأخلاق الفاضلة هي عماد القوة في أي مجتمع، ولذا كانت الدعوة إلى الالتزام الأخلاقي في رسالة كل رسول، بل كانت هناك دعوات للرسل جاءت لمحاربة الانفلات الأخلاقي مثل دعوة نبي الله لوط عليه السلام التي جاء لمحاربة الشذوذ الجنسي، لقد عدل قوم لوط عم المرأة وما فيها من حرث وطهارة، وما خلقت له من متعة فطرية، ولجأوا إلى الذكران ليخنثوهم، وليعدلوا بهم عن اتجاههم، وهذا ظلم وجناية بما فيه من جناية على شهامة الرجولة، وكسر معاني الإباء والشمم الاصيلية، ولما فيه من تعطيل النساء وتعريضهن للفاحشة، وما يستتبعه ذلك من القضاء على النسل، وفساد الكون وخراب الحياة.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (الأصل أن الخطيئة تفعل أولاً في خفاء واستحياء، ثم تفعل في جفاء وبرود، ثم تولد في المجتمع فتبرز بوجهها الكالح، فإذا وجدت بيئة موالية استوت على قدميها، فتفعل الخطيئة دون نكير، ثم يشتد عودها وتصلب، فتشيع وتنتشر، ولا تزال دائرتها تتداح حتى تصبح تقليداً متبعاً، فإذا ظهرت الفضيلة المناوئة لها استكثر حق الحياة والاستقرار عليها مثلما وقع في قرى المؤتفكة، فإن الرجال الذين استمروا الشذوذ الجنسي عز عليهم أن يقوم فيهم ناصح ينهاهم عنه، وكان صوت هذا الناصح من الغرابة بحيث هدده المجرمون بالرجم إذا لم يسكت، فلما أبى إلا إعلان

سخطه والبراءة من عملهم تقرر طرده من البلد الفاسق لأنه متطهر خارج عن القانون، والبلد الذي تصل فيه الأوضاع إلى هذا الدرك السافل لابد من أن تحل به العقوبة العدل، وما تقوم لأهله عند الله حجة، أو ينهض لهم عذر)

وإذا كان الشذوذ قد ابتدعه قوم لوط إلا أنه ظل موجود في الأمم بعدهم يفعل في خفاء إلى أن جاء العصر الحاضر يعيد ما قام به قوم لوط من مجاهرة بهذا الفعل المتدني، وانضم إلى شذوذ الرجال شذوذ النساء وارتكست الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، وأضحت حياة هؤلاء الخارجين عن فطرة الخلق يغضب الحيوان لو نسب إليه ما يفعل هؤلاء لأن الحيوان لا يمارس هذا الشذوذ، ومما يؤسف له أن الوضع السافل الذي يفعله هؤلاء ترعاه منظمات وهيئات ووضعت له تشريعات قانونية لا تبيحه فقط، وإنما تجرم من ينكر عليهم هذا العمل الشائن القبيح

ودعوة نبي الله شعيب جاءت لمحاربة الفساد الأخلاقي في مجال الاقتصاد، والفساد الأخلاقي في المال نذير شؤم على أهله ينزع الرحمة من القلوب، وينشر الحقد والحسد من المحتاجين لأصحاب الأموال، ولذا واجهت الدعوة الإسلامية هذا الانحراف الاقتصادي قبل أن تقوم للمسلمين دولة، ففي مكة وفي مواجهة ما يفعله أهلها نلت سورة المطففين.

المطلب السابع

جماليات القصص القرآني

احتوى القرآن الكريم على كثير من القصص، وقد وصف رب العالمين هذا القصص بأنه أحسن القصص وقد اشتمل القرآن الكريم على قصص الأخيار وقصص الأشرار، وهذا القصص معينه لا ينضب، يستخرج منه في كل عصر ما يفتح الله به على من يتدبره. ومن التدبر في القصص القرآني وجود أوجه جمال في المقارنات بين ما اشتمل عليه القرآن من قصص، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: مقارنة بديعة بين قصتي (يوسف وموسى) عليهما السلام من عدة أوجه منها:

١- كلاهما كانت قصته بمصر بيد أن يوسف عليه السلام بدأت قصته في فلسطين ثم ارتحل إلى مصر وهو صغير، وظل بها حتى مات، أما موسى عليه السلام فقد نشأ في مصر، وانتقل منها إلى مدين ثم عاد مرة إلى مصر، ثم خرج منها مطارداً إلى بركة سيناء.

٢- كلتا القصتين كانت البشارة لأصحابها في بداية القصة في قصة يوسف عليه السلام تبدأ برؤية يفسرها له أبوه، وقصة موسى عليه السلام في بدايتها كما جاء في سورة القصص فيها بشارات لما ستؤول إليه أحداث القصة.

٣- في قصة يوسف عليه السلام لم تذكر أمه، وفي قصة موسى عليه السلام لم يذكر أبوه، ولذا كان الحزن والخوف من الأب في قصة يوسف عليه السلام، بينما كان الحزن من الأم في قصة موسى عليه السلام.

٤- بداية الفرج لأم موسى كانت سريعة برد ولدها إليها، أما بداية الفرج لأبي يوسف فتأخرت إلى قبيل نهاية القصة

٥- كلاهما تم القاءه غير أن يوسف عليه السلام أُلقي بيد كارهة مبغضة، بتدبير من البشر، وموسى عليه السلام أُلقي بيد محبيه، بأمر من الله وتدبيره

٦- كلاهما تربى في قصر على يد امرأة، وكانت المرأة مصدر الرعاية والحنان لموسى عليه السلام، بينما كانت صاحبة القصر مصدرا للمعاناة التي لقيها نبي الله يوسف عليه السلام، وأصحاب القصر الذين عاش معهم يوسف عليه السلام لما كبر قدروه وجعلوه على خزائن الأرض، بينما أصحاب القصر في قصة موسى عليه السلام لما كبر طاردوه واضطروه للخروج من البلاد.

٧- كلاهما عندما وصلا إلى سن الرشد من الله عليه بنعمته فقال الله عن يوسف عليه السلام، فكلاهما أوتي الحكم والعلم وهما من المحسنين.

٨- كلاهما كان مفقودا وعند البحث عن يوسف كان أبو يوسف هو من طلب البحث عنه وأرسل إخوته، أما في قصة موسى فالأم هي التي طلبت البحث عنه وكلفت أخته بهذا الأمر

٩- موقف الأخوة في القصتين مختلف فأخوة يوسف تأمروا عليه ليغيبوه عن وجه أبيه، بينما كان الاخوة في قصة موسى عليه السلام مصدر عون وقوة، فأخته التي أمرتها أمها بتتبعه هي التي كانت سببا في رده إلى أمه، وأخوه هارون كان عوناً له في تبليغ الرسالة.

١٠- اختلفت النهاية في القصتين ففي قصة يوسف عليه السلام كانت النهاية واضحة جلية ﴿ وَرَفَعَ آدُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾^(١)، بينما كانت النهاية في قصة موسى عليه السلام فيها غموض

(١) يوسف: ١٠٠، ١٠١

حيث لم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن القصة بعد الأمر بدخول الأرض المقدسة وتقاس بني إسرائيل والحكم عليهم بالتيه، وهذه النهاية الغامضة مناسبة لتاريخ اليهود عبر الأزمان حيث يكتنفهم الغموض.

ثانياً - الجمال في قصتي رجل آل فرعون، ورجل سورة يس والجمال يكمن في عدة وجوه منها:

١. إخفاء اسم الرجل في كلتا القصتين لأن المراد عملهما وليس أشخاصهما
٢. إن الرجولة الحقّة تكون في اتخاذ موقف تتطلبه الرجولة، فليس الرجولة عضلات، وإنما الرجولة مواقف
٣. وصفهما بالرجولة حيث اتخذ مؤمن آل فرعون موقف الرجولة والهمة والشهامة في مناصرة الحق، ودفع الضر عنه، وكان في عهد موسى ﷺ، قطع المدينة بطولها سعياً لإنقاذ نبي الله موسى ﷺ، من الوقوع في يد الفئة الباغية من قوم فرعون التي أعدت عدتها لقتله ناصحاً إياه بالفرار، وقد بذل جهده في أن يصل إلى نبي الله موسى ﷺ قبل أن تصل إليه القوة الباغية، ومؤمن آل يس اتخذ موقف الرجولة في مجيئه من أقصى المدينة ناصحاً لقومه باتباع المرسلين وعدم إيذائهم.
٤. التعبير بأقصى المدينة في القصتين يفيد في قصة مؤمن آل فرعون همة الرجل في إنقاذ موسى ﷺ ويفيد في قصة آل يس أن الدعوة وصلت إلى كل مكان في المدينة يقول الطاهر ابن عاشور: (وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة لأن قلب المدينة هو مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوههم إليه الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة اكتراث بالآخرين لأن سكان الأطراف غالبهم عملة

أنفسهم لقربهم من البدو، وبهذا يظهر وجه تقديم من أقصا المدينة على رجل للاهتمام بالبناء على أهل أقصى المدينة. وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصددهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة^(١).

ثالثاً: بين موقف الملأ المستكبرين والضعفاء الذين آمنوا من قوم صالح

﴿ قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَعَمُونَ أَتَكْتُمُونَ أَمْ لَكُمْ مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ ۝ ﴾^(٢).

وفي هذا النص عدة أمور منها:

١- ليس كل الضعفاء آمنوا برسالة صالح عليه السلام، فمنهم من آمن، ومنهم من ظل على كفره، فلم يكن الاستضعاف مقصوراً على المؤمنين

٢- في رد المؤمنين المستضعفين دليل على راحة عقلهم وقوة إيمانهم يقول الزمخشري: (فان قلت: كيف صح قولهم إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ جواباً عنه؟ قلت: سألوهم عن العلم بإرساله، فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مكشوفاً مسلماً لا يدخله ريب، كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أُرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة يدخله لوضوحه وإنارته، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به، فنخبركم أنا به مؤمنون، ولذلك كان جواب الكفرة ﴿ إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾^(٣)).

٣- ليس في وصف الملأ بالاستكبار مدحاً لهم، كما أنه ليس في وصف

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٦٥ - ٣٦٦)

(٢) الأعراف: ٧٥، ٧٦

(٣) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١٢٣/٢

المسلمين بالاستضعاف ذما لهم يقول الرازي: (واعلم أنه وصف أولئك الكفار بكونهم مستكبرين، ووصف أولئك المؤمنين بكونهم مستضعفين، وكونهم مستكبرين فعل استوجبوا به الذم، وكون المؤمنين مستضعفين معناه: أن غيرهم يستضعفهم ويستحقروهم، وهذا ليس فعلا صادرا عنهم بل عن غيرهم، فهو لا يكون صفة ذم حقهم، بل الذم عائد إلى الذين يستحقرونهم ويستضعفونهم)^(١).

٤- فهم النبي ﷺ صالح طبيعة الملام من قومه في عدم قبولهم للنصيحة، ولذلك ختمت القصة في سورة الأعراف بقول صالح ﷺ ﴿يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾^(٢).

رابعا: بين قصة صاحب الجنتين وأصحاب الجنة

١- وردت قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، ووردت قصة أصحاب الجنة في سورة القلم

٢- لم يذكر في كلتا القصتين أسماء، وذلك لأن الأسماء غير مقصودة، وإنما الهدف من القصتين العبرة والعظة، كما أنه في كل عصر يوجد المتكبرون والمانعون لحق الله في المال

٣- النهاية واحدة في كلتا القصتين زوال النعمة، وجاء التعبير اللفظي مختلفا، ولكن النتيجة واحدة، ففي قصة صاحب الجنتين جاء التعبير القرآني ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِمْ فَأَصْبَحَ يَقِلُّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾، وفي قصة أصحاب الجنة ﴿فَطَافَ عَلَيْهِمَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمَا تَائِبُونَ﴾^(١) فَأَصْبَحَتْ كَالضَّرِيمِ^(٢)

٤- في كلتا القصتين كان الندم والحسرة على زوال النعمة، ومحاولة التوبة

(١) الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٠٧ / ١٤

(٢) الأعراف: ٧٩

والاعتراف بالذنب فصاحب الجنتين بعدما رأى ما أُل إليه حال جنتيه أصابته الحسرة ﴿فَأَصْبَحَ يُخَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ﴾ (٤٢) (١)، وأصحاب الجنة صور القرآن حالهم ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۖ﴾ (٣٦) ﴿بَلْ نَحْنُ مُخْرَمُونَ ۚ﴾ (٣٧) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ۚ﴾ (٣٨) ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ﴾ (٣٩) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ۚ﴾ (٣٠) ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا إِنَّا كُنَّا طَالِعِينَ ۚ﴾ (٣١) ﴿عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۚ﴾ (٣٢) ﴿ندم وحسرة حين لا ينفع الندم.

٥- في قصة صاحب الجنتين مفارقة عجيبة بين الإنسان المكرم والشجر المذل، فالشجر المسخر من الله نعمة للإنسان لم يظلم، ولكن الإنسان المكرم بالنعمة من الله هو الذي يظلم ويتكبر ما أعجبها من حقيقة الجماد لا يظلم والإنسان هو الذي يظلم ويتكبر.

٦- في كل مجتمع يوجد الفاسدون والمصلحون، والخير في البشر لا ينقطع، في قصة صاحب الجنتين رغم تكبر صاحب الجنتين وغروره وكفره إلا أننا نجد مثال الخير في صاحبه الذي ينصحه، وهكذا الحياة لا تحلوا من الأخيار.

٧- تفيد كلتا القصتين أن الجحود بنعم الله والتكبر بها، وعدم رعاية البشر في فقرهم ومشاعرهم مؤذن بزوال النعمة، وهذا قانون عام كما قال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ رَبِّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۚ﴾ (٧) (٢).

٨- عدم الاستغراق في الأمل ببقاء القوة والمال طيلة العمر، فقد تذهب النعمة بسبب جحودها والبطر بها كما قال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ بِطَرَتِ

(١) الكهف: ٤٢.

(٢) إبراهيم: ٧.

مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ (١).

خامسا: بين العقل وغريزة الجنس عند المرأة

في القصص القرآني مفارقة عجيبة بين امرأتين: إحداهما (ملكة سبأ) تُحكم عقلها في الأمور، والثانية (امرأة العزيز) تغلبها شهوتها إلى أن تصل بها إلى الهوان وفي كلتا القصتين ملامح جميلة منها:

١- لم يأت ذكر في القصتين للأسماء لأن المراد من القصص القرآني العبرة والعظة وذكر الأسماء لا يأتي بجديد في القصة

٢- كلتاهما صاحبة نفوذ فملكة سبأ تستمد نفوذها بأنها الملكة التي تحكم قومها، وامرأة العزيز تستمد نفوذها من نفوذ زوجها عزيز مصر

٣- كلتاهما كانت صاحبة حاشية، ولكن تختلف الحاشية عند كل منهما فملكة سبأ حاشيتها الملاء من قومها المدافعين عن الوطن، أما حاشية امرأة العزيز فكانت سيدات المجتمع اللائي لا هم لهن إلا الحديث عن المشكلات الخاصة وتتبع العورات.

٤- كلتاهما استعملت سلاحا مع تنوع السلاح عند كل منهما فملكة سبأ حاولت استمالة سليمان عن طريق الهدايا أما امرأة العزيز فاستعملت سلاح الاغراء الجسدي للوصول لهدفها في اغواء يوسف.

٥- تمثل القستان فارقا صارخا في القوة والضعف عند المرأة فملكة سبأ باستعمالها لعقلها كانت قوية متماسكة نجت قومها من الهلاك والدمار، أما امرأة العزيز فبغلبة شهوتها عليها جلبت العار لنفسها ولزوجا ولاكت سيرتها الألسن وأصبحت حديث المدينة.

٦- كلتا المرأتين عادتا إلى الحق والإيمان، فملكة سبأ بعد أن جاءت إلى سليمان وعلمت حقيقة رسالته أعلنت إسلامه لله رب العالمين، وامرأة العزيز بعد أن أمر الملك بفتح تحقيق جديد في القضية بناء على رغبة يوسف عليه السلام وشهادة نسوة المدينة بطهارة يوسف وعفاهه أعلنت أمام الملأ برأته وأقرت أنها هي التي راودته عن نفسه وأنه من الصادقين.

سادسا: بين الشكر والجود للنعم

ضرب القرآن أمثلة متعددة لموقف البشر من نعم الله، ومن هذه الأمثلة نبي الله سليمان في شكر النعمة، وعدم البطر بها، وفي المقابل قارون الذي بطر بالنعمة، وتكبر بسببها، وبين الصتين ملامح وعبر:

١- كلاهما أنعم الله عليه بنعم جاوزت حدود ما يملكه البشر، فقارون منحه الله المال الوفير الذي يصعب حصره، ونبي الله سليمان استجاب الله لدعائه فمنحه ملكا حسيا ومعنويا لم يكن لأحد من قبله ولا من بعده.

١- كان موقف نبي الله سليمان عليه السلام من نعم الله عليه الاقرار بها والحمد والثناء على واهب، أما قارون فقد جحد بنعمة الله وادعى أن ذكائه وعلمه هو الذي جعل له هذا المال الوفير.

٢- عاقبة الشكر دوام النعمة وزيادتها، فنبي الله سليمان بإعلانه الشكر لربه بعد أن سمع كلام النملة لقومها منحه الله ملكا لم يمنحه لأحد من بعده، وعاقبة الجود زوال النعم فقد كان عاقبة قارون الجاحد لنعم الله عليه الخسف به وبما ملك في قاع الأرض.

٣- العبرة لمن يعتبر فأصحاب سليمان لم تتطلع أعينهم إلى ما عنده من نعم فهم يعلمون نبوته وجميعهم الانس والجن والطير في خدمة رسالته، أما قوم قارون فقد تطلعت أعينهم إلى ماله وزينته وتمنوا أن يكون لهم مثل ما عنده، ولكنهم أفاقوا بعد الخسف بقارون وما ملك، وشعروا بنعمة الله عليهم بنجاتهم، وأقروا بتدبير الله في تقسيم الرزق.

الخاتمة

أولاً: القرآن الكريم معينه لا ينضب، يستخرج منه في كل عصر ما يفتح الله به على من يتدبره.

ثانياً: أن الله سبحانه وصف القصص القرآني بأنه أحسن القصص، فمهما اخترع الناس من قصص فإنه لا يقارن به.

ثالثاً: النزاع بين الخير والشر موجود منذ وجد الإنسان على الأرض ومستمر ما بقي الإنسان عليها.

رابعاً: واقعية القصص القرآني في معالجته لنوازع الإنسان وغرائزه

خامساً: القصص القرآني لا يستطرد في ذكر أحداث لا تعود على القصة بنفع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- ابن عادل: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) الباب في علوم الكتاب تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ
- ٣- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
- ٤ - أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) زهرة التفاسير دار النشر: دار الفكر العربي
- ٥ - البيانوني: محمد أبو الفتح البيانوني. المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٩٥
- ٦ - الخالدي: د صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم مشق ١٩٩٨م
- ٧ - الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
- ٨ - الزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي التفسير الوسيط، دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٩- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

١٠- رشيد رضا: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م
١١- السيد عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

١٢- الشعراوي: محمد متولي الشعراوي تفسير الشعراوي الناشر: مطابع أخبار اليوم
١٣- الغزالي: الشيخ محمد الغزالي نظرات في القرآن دار نهضة مصر الطبعة السادسة ٢٠٠٥م.

١٤- غلوش: أحمد أحمد غلوش الدعوة الإسلامية أصولها - وسائلها - أساليبها في القرآن الكريم مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ٢٠١١م
١٥- غلوش: د أحمد أحمد غلوش: ركائز القدوة في تفسير الدعوة مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ٢٠١٢م

١٦- طنطاوي: الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى
١٧- الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة تحقيق: د. مجدي باسلوم دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

١٨- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) تفسير الماوردي = النكت والعيون تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

فهرس الموضوعات

١٤٦	المقدمة
١٤٧	المطلب الأول: تعريف القصة وأنواعها
١٤٩	المطلب الثاني: مميزات القصص القرآني
١٥٥	المطلب الثالث: عناصر القصة القرآنية
١٦٩	المطلب الرابع: القصة والمناهج الدعوية
١٧٤	المطلب الخامس: أساليب الدعوة في القصص القرآني
١٨٠	المطلب السادس: أثر القصة في أركان الدعوة
١٩٦	المطلب السابع: جماليات القصص القرآني
٢٠٤	الخاتمة
٢٠٥	المصادر والمراجع
٢٠٧	فهرس الموضوعات